الكلمة الطيبة

«الكلمة الطيبة صدقة»

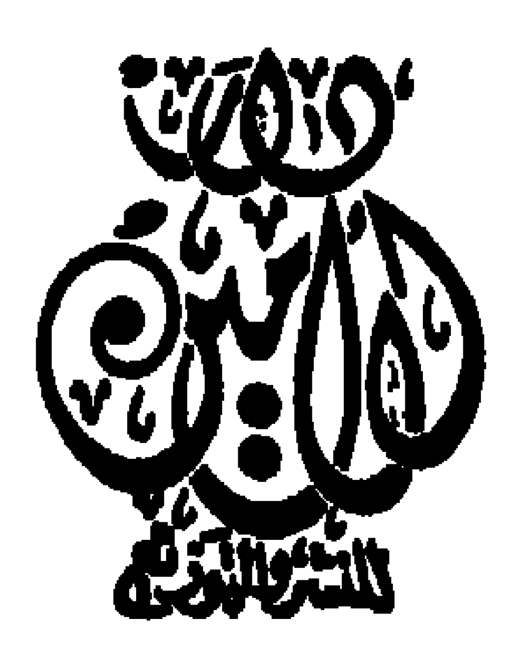
تاج الدين نوفل

الكلمة الطيبة

« الكلمة الطيبة صدقة »

تاج الدين نوفل





بسم الله الرحمن الرحيم
فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض
صدق الله العظيم



القاهرة ١٣ شارع البركة الناصرية (من شارع نوبار) السيدة زينب - لاظوغلي
ت ٣٥٥٤٣٧٦ ف ٠٠ ٣٩٠٠١٣٠
ص ب ١٣١٥ العتبة ١١٥١١
الجيزة : ١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم - تليفون : ٥٦٣٤٦٩٩
ص.ب : ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١
جمهورية مصر العربية

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

رقم الإيداع ٢٩٩٠/١٩٩٩
ISBN : 977-279-232-X

التنفيذ الطباعي : دار الأمين للطباعة

الإخراج الفني : جمال فتحي أحمد

كلمة طيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1] .

صدق الله العظيم

---

(١) ٢٤ ، ٢٥ إبراهيم .

الإهـــداء

إلى :

الزهرة اليانعة . .

إلى :

الياسمينة . .

إلى :

أجمل ترنيمة . . وأحلى زينة . .

إلى :

اللؤلؤة النفيسة . .

إلى :

الجوهرة الثمينة . .

إلى :

الهدى والسكينة . .

إلى :

السيدة العظيمة . .

إلى :

الملكة « سوسينا » .

مع خالص تحياتي

تاج الدين نوفل

مقدمة

السلام عليك أيها القارئ الكريم . . .

السلام عليكِ أيتها القارئة الكريمة . . .

تحية من عند الله مباركة طيبة ، وبعد ، ، ،

هذا الكتاب الذى بين أيدينا . . هو امتداد للشجرة الطيبة التى غرسناها معاً والتى امتدت فروعها . . وترعرعت أوراقها . . ونستظل بظلها الآن . . فى كتاب إثر كتاب والذى أهديته إليك من قبل . . يحمل بين دفتيه كل ما يهم المسلم فى يومه وليله . . وفى حله وترحاله . .

وها أنذا . . أهدى إليك اليوم كتاباً آخر فيه تعاليم شتى . . وأمور هامة . . أعرضها عليك . . ولا أدخر وسعاً فى تبسيطها وإيجازها . . بما لا يخل بالمعنى . . ولا يضر بالمبنى . .

وكما تعودت فى أحاديثى معك دائماً . . وكتاباتى إليك . . أن أؤيد ما أسرده عليك . . وأكتبه إليك . .

* بالآية الكريمة . . التى هى الحق الذى لا يعرف الباطل .
* والحديث الشريف . . الذى هو الوحى السماوى . . ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1] .
* والحكمة . . التى هى ضالة المؤمن . . ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّـهِ وَالْحِكْمَةِ ... ﴾[2] .
* والقصة . . التى تؤكد المعنى . . وتؤيد المغزى . .
* والشعر . . الذى هو ديوان العرب . . وميثاقه الأدبى . .
* والأثر . . الذى هو القاعدة الأصيلة للأعراف . .
* والمثل . . الذى هو التراث الخلقى الموروث عن الأجداد . .

---

(١) ٤ النجم .

(٢) ٣٤ الأحزاب .

وكلها يؤيد بعضها بعضاً ويشد من عضده . . لتثبت القيمة أو الفكرة التى نتحدث عنها . . لترسخ فى عقل المسلم وقلبه . . فيؤمن بها . . ويعمل لها . .

وقد نظمتها كلها مسبحة بين يدى المسلم تتشابك خرزاتها من أجل الوصول بالفكرة إلى القلب والوجدان من أقصر طريق . . وأشرف سبيل . . وهى على صدر المسلم وفى عنق المسلمة كالعقد قد نظمت حباته . . وتكونت خرزاته . . فكرة فكرة . . وقيمة قيمة . . ومعنى معنى . . وصورة صورة . . من أجل المثل العليا . . التى يدعو إليها أشرف كتاب . . وأسمى نبى (ﷺ) .

وهى فى النهاية كلمة طيبة يفوح شذاها فى كل مكان وزمان . . وهى روح وريحان . . ومسك وزعفران من جنة رضوان . . وكيف لا !؟ والجنة قيعان . . غراسها سبحان الله . . والحمد لله . . ولا إله إلا الله . . والله أكبر . . ولا حول ولا قوة إلا بالله . . ونحن لم نتجاوز هذا قيد أنملة . .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

وهى أولاً وآخراً . . دعوة إلى النور والإيمان . . من ظلمات الجهالة . . وبراثن الشيطان . . لندرك بها ما أدركه الأوائل من الأعلام فى صدر الإسلام . . الذين قال الله فيهم فى كتابه الحكيم :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾(٢) .

صدقوا فى القول . . وصدقوا فى العمل . .

أخلصوا القول . . وأخلصوا العمل . . فحققوا الأمل . . ونالوا درجات النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . .

---

(١) ٢٤ ، ٢٥ إبراهيم .
(٢) ٢٣ الأحزاب .

لم يبدلوا شيئاً . . ولم يحرفوا شيئاً . . وإنما صدقوا الوعد ووفوا العهد . . واتبعوا النور المبين . . فكانوا مشاعل نور وهدى للعالمين . . يهتدى بهم الناس فى ظلمات الأرض . . فاستحقوا من الله تعالى قوله فيهم :

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ . . . ﴾(1) .

﴿ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾(2) .

﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾(3) .

ولك أن تتأمل كلمة رجال . . ممن ؟ من الله تعالى !!

فطوبى لهؤلاء وأولئك . . حين يصفهم ربهم برجال . . والرجال قليل . . يصفهم ربهم فى قرآنه الكريم . . برجال . .

إن كلمة رجال . . كلمة تزن الجبال . . بل تزول لها الجبال . . ولا تزول . . وإن كلمة رجال . . كلمة أقوى من الجبال . . ولكن أين هم ؟!

أين هؤلاء الرجال . . الذين تزول أمامهم الجبال . . والواحد منهم يزن الجبل ويزيد . . رجل بجبل . . بل يزول له الجبل .

فلقد كان الرجل قديماً صابراً جسوراً . . يحمل الهموم الثقال ولا يتململ . . ينظر إلى الجبل . . وهو يناجيه من ثقل ما يحمله . . ويقول :

لو أن ما بك مثل ما بى   لدككت من هول المصاب(*)

يا أيها الجبل الذى   ما ذاق إلا بعض ما بى

هذا . . ولقد كانت وصية آمنة بنت وهب لابنها الصغير « محمد » قبل أن تموت وهو فى السادسة من عمره : يا محمد كن رجلاً . .

فكان محمد (ﷺ) رجلاً وأى رجل . . كان رجلاً وأعظم رجل . .

---

(1) ٢٣ الأحزاب .
(2) ٣٧ النور .
(3) ١٠٨ التوبة .
(*) من شعر المؤلف .

كان رجلاً ربى رجالاً . .

كان أمة ربى أمماً . .

فاستحقوا قول ربنا عز وجل : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾(١) .

فكونوا رجالاً يغفر الله لكم . .

كونوا رجالاً وليكن ما يكون . .

إذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العار أن تموت جبانا(٢)

واطلب الموت توهب لك الحياة . . وإن الحياة ساعة . .

والشجاعة صبر ساعة . .

أما بعـــد . . .

فهذه كلمة طيبة . . فى كلمـــات . .

وصفحة ناصعة . . فى صفحات . .

وصفحات فى كتاب . .

تناولتها وناولتها . . وتلقيتها . . وألقيتها إليك . . بكل معنى ومغزى . .

فلعلها تجد عندك ما وجدته عندى . . من حفاوة وامتثال لأمر الله تعالى . .

فالكلمة الطيبة . . شجرة طيبة . . فروعها طيبة . . وأوراقها طيبة . . وثمارها طيبة . . الأصل ثابت . . والفرع فى السماء . . والثمر فى القلوب . . مطلوب ومحبوب . .

ومن زرع كلمة طيبة . . نبتت شجرة طيبة . . وطرحت ثمراً طيباً . . وظلاً ظليلاً . . يستظل به يوم القيامة . . يوم لا ظل إلا ظله . . ولا نور إلا نوره . . ولا أمل إلا فيه . .

والكلمة الخبيثة . . شجرة خبيثة . . فروعها خبيثة . . وأوراقها خبيثة . . وثمارها خبيثة . . لا أصل لها ولا قرار . . ولا فرع لها ولا ثمار . .

ومن زرع كلمة خبيثة نبتت شجرة خبيثة . . وطرحت ثمراً خبيثاً . . لا ظـل له إلا الهجير . . يكتوى به يوم القيـــامة . . يـوم الحسـرة والنـدامة . . فى نـار سـوداء . .

---

(١) ٢٣ الأحزاب .

(٢) من شعر المتنبى .

لا تعرف الضياء . . أوقدها الله ألف عام حتى احمرت . . وألف عام حتى ابيضت . . وألف عام حتى اسودت . . ولو ألقى فيها حجر لا يصل إلى قاعها إلا بعد سبعين عاماً . . وهذه النار . . نار الآخرة . . ليست كنار الدنيا . . فإن نار الدنيا فى نار الآخرة . . كنور الشمعة . .

وفى الأثر :

« لو صادف أهل النار ناركم هذه لناموا فيها » .

فأدرك الأمر قبل فوات الأوان .

وازرع شجرة طيبة . . فى كلمة طيبة . . أو عمل طيب . . أو أمر طيب . . أو نهى طيب . . أو بسمة طيبة . . أو حتى صمت طيب . .

فالصمت حكمة . . وقليل فاعله . . والصمت من أعظم العبادات . .

فإذا لم تستطع أن تنطق بالكلمة الطيبة . . ولا بالعمل الطيب . . فلا أقل من أن تصمت . . ورحم الله عبداً تكلم فغنم . . أو سكت فسلم . . أما أن تترك الطيب من القول . . وتترك الطيب من الصمت . . ولا تقف عند هذا الحد . . بل تطلق لسانك فى أعراض الناس . . فهذه الحالقة . . لا تحلق الشعر . . بل تحلق الدين . . وإذا لم تزل المنكر . . فزل عنه .

« ومن غربل الناس نخلوه . . ومن نخل الناس عجنوه . . ومن عجن الناس خبزوه . . ومن خبز الناس أكلوه » . . وكما تدين تدان . .

فكن كلمة طيبة . . فوق الشفاه . . وكن بسمة طيبة . . فوق الجباه . . وكن نسمة طيبة . . بفم الحياة . . إذا أردت النجاة . .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1] .

تاج الدين نوفل

---

(١) ٢٤ ، ٢٥ إبراهيم .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

يقول تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] .

---

(١) ١١٠ آل عمران .

الكلمة الطيبة

يقول تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(١)

ويقول تعالى :

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾(٢)

ويقول عز وجل :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾(٣)

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

« علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل »(٤)

« العلماء ورثة الأنبياء »(٥) .

هذا وقد سأل أحد الملوك بعض العلماء :

* كيف يأكل أهل الجنة ما يشتهون . ثم لا يتغوطون ؟!

فرد أحد العلماء . . وقال :

هذا أمر يسير على الله سبحانه وتعالى . . حيث أننا سنكون فى نشأة أخرى . كما كنا من قبل فى الأرحام . . نطفة . . علقة . . مضغة . . إلخ . .

فإن الأجنة فى بطون أمهاتهم يأكلون وينمون ولا يتغوطون !!

فقال : صدقت . .

---

(١) ٢٤ ، ٢٥ إبراهيم .
(٢) ٢٤ الحج
(٣) ٢٧ إبراهيم .
(٤) رواه الطبرانى وغيره .
(٥) رواه الحاكم وغيره .

ثم سأل . . وقال :

* وكيف يأكلون ما يشتهون . . ولا تنقص الجنة بما يأكلون ؟!

فقال :

لو كان عندك مصباح . . وجاء الناس وأوقدوا منه مصابيحهم . . هل ينقص من مصباحك شيء . . مما يوقدون ؟!

قال : صدقت !!

ثم سأل . . وقال :

* ولكن إلى أين تذهب الأرواح عن أصحابها . . عندما يموتون ؟!

فرد عليه قائلاً :

إلى حيث كانت قبل ما يخلقون . .

قال : صدقت !!

ثم سأله قائلاً :

* إذا كانت الجنة عرض السموات والأرض . . فالنار أين تكون ؟!

فقال العالم الجليل :

إذا جاء الليل . . أين ذهب النهار والحركة . .

وإذا جاء النهار . . أين ذهب الليل والسكون . .

قال : صدقت !!

ثم سأله . . وقال :

* ولكن . . كيف يحاسب الله تعالى الناس جميعاً . . وهم أم شتى مختلفون ؟!

فقال العالم :

كما يرزقهم جميعاً وهم أم شتى مختلفون . . يحاسبهم جميعاً وهم أم شتى مختلفون .

قال : صدقت . . صدقت . . صدقت . .

وهكذا . .

استطاع العالم العامل من أن يرد بقول ثابت . . ثبات الطود الشامخ . .

ويقنع هذا الملك الجبار بهذا الدين . . وحبله المتين . . الذى قال فيه رسول الله (ﷺ) :

« وما شاد الدين أحد إلا غلبه . . » .

ومـا نطق هذا العـالـم إلا بالحق واليـقين . . ومـا أنطقـه بهـذه الحكمـة . . إلا رب العالمين . . الذى يقول فى كتابه الحكيم :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[1] .. أى من أراد أن يتعلم . . فليتق . . لأن التقوى أساس العلم . .

فإذا اتقى الله وتعلم . . وعمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم . . وفجَّر الله على قلبه ينابيع الحكمة . . فتكلم بكلام الله . . فإذا تكلم بكلام الله تعالى . . جعل الله كلامه فى فمه . فلا يقول إلا حقاً . . ولا ينطق إلا صدقاً

وصدق الله العظيم . حيث يقول

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ من يشاءُ ومن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وما يذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[2] . .

إن الحكمة بحر مبارك . . لا يهبه الله إلا من يشاء من عباده المخلصين . . ونهر فياض . . لا يُفجِّره الله إلا على قلوب أوليائه الصالحين

فإذا بلغ العبد هذه الدرجة كان محسناً أى من أهل الإحسان . والإحسان كما نعلم :

أن تعبد الله كأنك تراه . . فإن لم تكن تراه فإنه يراك . .

فإذا تيقن العبد أنه : يَرى ويُرى . . فقد بلغ الذرا . . وأصبح يرى بنور الله تعالى . .

وكان من الذين قال الله فيهم :

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ .. ﴾[3] .

---

(1) ٢٨٢ البقرة .

(2) ٢٦٩ البقرة .

(3) ٢٤ الحج .

﴿ ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١) . .

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾(٢)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ .. ﴾(٣)

بالإيمان وصدق الكلمة ... والإحسان وشكر النعمة
والنفس إذا عفت وسمت ... والقلب إذا عرف الرحمة
فَجَّرت عليه بالتقوى ... من نورك ينبوع الحكمة(*)

• • •

بالحكمة والموعظة الحسنة

يقول تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(٤)

ويقول رسول الله (ﷺ) :

* « فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها . . »(٥) .

* « الدين النصيحة . . الدين النصيحة . . الدين النصيحة . . قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله . . ولأئمة المسلمين وعامتهم »(٦) .

(١) ٦٢ ، ٦٤ يونس .
(٢) ٢٧ إبراهيم .
(٣) ٢٤ ، ٢٥ إبراهيم .
(*) من شعر المؤلف .
(٤) ١٢٥ النحل .
(٥) من حديث المصطفى (ﷺ) عن (على كرم الله وجهه) .
(٦) متفق عليه .

الحكمـة

هذا . .

ولقـد نصح أحـد الأئمـة عبد الملك بن مروان . . وأغلـظ فى القـول . . فقـال له عبد الملك بن مروان :

يا هذا . . لست أنت خيراً من موسى وهارون .

ولست أنا شراً من فرعون . . . .

ومع هذا . . قال الله تعالى لموسى وهارون :

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ . . ﴾[1] .

فادع إلى الله بحكمة . . وخفف من غلوائك يا هذا . .

● ● ●

الموعظة الحسنة

فادع إلى ربك بالحكمة . . والموعظة الحسنة . . وجادل بالتى هى أحسن . . فإن الله يحب الرفق فى الأمر كله . . ويحب النصح فى الأمر كله . . والإخلاص فى كل نصح . . حتى تؤدى الدعوة مغزاها . . وتبلغ الحكمة معناها . .

إن الذى يدعو إلى ربه بحب وإخلاص . . منزهاً نفسـه عن الهـوى والـغـرض . . لا يرجو إلا الله . . ولا يبغى سواه . . تبلغ دعوته مداها . . وتحقق فحواها . .

● ● ●

---

(١) ٤٣ - ٤٤ طه .

بالتى هى أحسن

وهذا حوار بين أحد العلماء المخلصين وبين أحد الرهبان المتشددين . . انتهى به إلى الإيمان . .

فقد أراد الراهب أن يعجز العالم . . فجادله العالم بالحسنى . . ولم يخرج عن الحق . . وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة . . واقرأ معى هذا الحوار الراقى :

قال الراهب : هل كسف القمر ؟

قال العالم : نعم .

قال الراهب : فلماذا لم يره إلا أهل مكة ؟

قال العالم : هل نزلت المائدة على عيسى والحواريين . . عليهم السلام ؟

قال الراهب : نعم .

قال العالم : هل رآها أحد غير عيسى والحواريين ؟

قال الراهب : لا . .

قال العالم : فلماذا لم يرها أحد غيرهم ؟

قال الراهب : وما تقول فى أمر عائشة . . يريد أن يطعنها فى شرفها . . مشيراً إلى حادثة الإفك . .

قال العالم : لقد اتهمتم من تزوجت ولم تنجب . . ولقد برأتا من أنجبت ولم تتزوج . . والمعنى : لقد اتهمتم عائشة (رضى الله عنها) وهى التى تزوجت من رسول الله (ﷺ) ولم تنجب . . ولقد برأتا مريم ابنة عمران التى أنجبت عيسى عليه السلام دون أن تتزوج . .

وهذه روعة فى الحوار وحكمة بالغة . . وحجة دامغة . . ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

قال الراهب : ولكن عيسى بن مريم نبينا أطهر من نبيكم محمد (ﷺ) . .

قال العالم : لماذا ؟

---

(١) ٨١ الأنعام .

قال الراهب : لأن نبينا عيسى لم يتزوج . . أما نبيكم محمد (ﷺ) فقد تزوج . . وفى الزواج نجاسة . .

قال العالم : هل أنت متزوج ؟!

قال الراهب : لا . . أنا راهب والراهب لا يتزوج !!

قال العالم : لقد اتهمتم الله بالزواج . . فهل أنتم أطهر أم الله تعالى ؟! وهل الله أطهر أم عيسى بن مريم ؟!

قال الراهب : صدقت . . صدقت . . صدقت يا إمام !!

وأنا أشهد أن لا إله إلا الله . . وأن محمداً رسول الله (ﷺ) .

انظر :

بالحجة والمنطق . . لا بالصياح والضجيج . . استطاع هذا العالم الجليل . . أن يجذب إلى حضرة الإيمان . . راهباً . . باللين لا بالشدة . . والحكمة . . لا بالقسوة . .

وهكذا تكون الدعوة إلى الله . . بالحكمة والموعظة الحسنة . .

فأعلن الراهب إيمانه . . وأشهر إسلامه . . وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ﷺ) .

وهكذا نجح العالم فى دعوته إلى الله تعالى . . وفاز ببشرى رسول الله (ﷺ) :

« فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً . . خير لك من الدنيا وما فيها » .

وصدق الله العظيم :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[1] .

• • •

---

(1) ١٢٥ النحل .

وصايا مباركة

يقول تعالى :

* ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(١) .

* ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيـــرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَـــابِ ﴾(٢) .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

* « خيركم من تعلم العلم وعلمه »(٣) .

* « خير الناس أنفعهم للناس »(٤) .

* « من كتم علماً يعلمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة . . »(٥) .

* « الساكت عن الحق شيطان أخرس . . »(٦) .

* « بلغوا عنى ولو آية . . »(٧) .

* « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع :

عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن علمه فيم عمل فيه ؟(٨) .

* * *

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ :

بين لى بعض ما يتعرض له الشباب من موبقات النفس .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

إياك واليأس من نفسك ، فإنه يسقط الهمة ، وإياك واليأس من وطنك ، فإنه يهدر الكرامة ، وإياك واليأس من روح الله ، فإنه ﴿ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾(٩) .

---

(١) ٨٨ هود .
(٢) ٢٦٩ للبقرة .
(٣) رواه الطبرانى .
(٤) رواه النسائى .
(٥) رواه ابن ماجه .
(٦) رواه مسلم .
(٧) رواه أحمد .
(٨) رواه الترمذى .
(٩) ٨٧ يوسف .

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ :

زدنى .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

إياك والرضى عن نفسك ، فإنه يضطرك إلى الخمول . .

وإياك والعجب ، فإنه يورطك فى الحمق . .

وإياك والغرور ، فإنه يظهر للناس كلهم نقائصك كلها ولا يخفيها إلا عليك .

واذكر دائماً قول المتنبى :

ومن جهلت نفسه قدره   رأى غيره فيه ما لا يرى

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ :

زدنى .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

إياك والصلة فى جمع المال ، فإنه خسة .

وإياك والحرص على كنز المال ، فإنه ذلة .

وإياك والإحجام عن بذل المال فى وجوه الخير ، فإنه ضعة .

واقرأ قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾(٢) .

● ● ●

(١٠) ٣٤ ، ٣٥ التوبة .

آداب النصيحة

يقول تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(1) .

ويقول جل وعلا :

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(2) .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

« الدين النصيحة . . الدين النصيحة . . الدين النصيحة . . قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »(3) .

من طبيعة الإنسان النسيان . . ولذلك سمى الإنسان إنساناً . . لكثرة نسيانه . . ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (4) . ولما كان الإنسان دائم النسيان فإنه فى حاجة إلى من يذكره بما ينفعه وما يضره .

وتعتبر النصيحة أغلى هدية يقدمها الإنسان للإنسان ، لأن النصح لا يتأتى إلا من أهل النصح ، وأهل النصح هؤلاء عرفوا الحياة وعرفتهم . . فذاقوا حلوها ومرها . . وخيرها وشرها . . فحازوا الخبرة واستخلصوا العبرة .

والمخلصون قليلون فابحث عنهم فى شتى بقاع الأرض . . فإن ظفرت بواحد . . فقد ظفرت بخير كثير . . فالمخلص موفق . . والإخلاص ثمن التوفيق . . والتوفيق ثمرة الإخلاص . . فاحرص على الإخلاص . . يوهب لك التوفيق . .

والناصح الأمين ثمرة من ثمرات الإخلاص . . يختصر لك الوقت . . ويبذل عنك الجهد . . ويوفر لك المال ، ولهذا قال رسول الله (ﷺ) :

الدين النصيحة : قيل لمن يا رسول الله ؟

قال : لله والرسول ولعامة المؤمنين . .

---

(1) ١١٥ طه .

(2) ١١٠ آل عمران .

(3) متفق عليه . . من حديث تميم الدارى (رضي الله عنه) .

(4) ٥٥ الذاريات .

وللنصيحة آداب :

* منها أن تكون خالصة لوجه الله تعالى .

* ومنها أن تكون بأدب ولطف فلا تجعلها جدلاً ، ولا تلقها جبلاً ، بل ألقها برفق وكن خجلاً . .

* وخير النصح ما قدم عملاً . . وأدناه ما قدم قولاً . . وخير منهما ما قدم قولاً وعملاً . .

* ومنها أن تكون سراً لا جهراً إلا إذا كانت للجماعة . .

وإلا فإن النصيحة على الملأ فضيحة . .

يقول الإمام الشافعى (رضي الله عنه) .

تعمدنى بنصحك فى انفرادى ... وجنبنى النصيحة فى الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتنى وعصيت قولى ... فلا تجزع إذا لم تول طاعة

وجاء فى الأثر :

من نصح أخاه سراً ... فقد نصحه وزانه . .
ومن نصح أخاه جهراً ... فقد فضحه وشانه . .

• • •

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

---

(١) ١٠٢ ، ١٠٤ آل عمران .

يقول تعالى :

يا أيها الذين آمنوا . . ناداهم بلفظ الإيمان ليحرك فيهم مشاعر الطاعة . . ويزكى فيهم جذوة الإيمان .

اتقوا الله حق تقاته . . فما هى التقوى ؟ . . أن يراك الله حيث أمرك . . وأن يفتقدك حيث نهاك . . أن يراك حيث يأمر . . وأن يفتقدك حيث ينهى . . أن يراك حيث يحب . . وأن يفتقدك حيث يكره . . أن يراك حيث يرضى . . وأن يفتقدك حيث يغضب .

فما تكون التقوى إذن :

التقوى هى : الخوف من الجليل . . والعمل بالتنزيل . والصبر الجميل . . والخلق النبيل . . والرضا بالقليل . . والعرفان بالجميل . . والاستعداد ليوم الرحيل . .

ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . فما هو الإسلام ؟!

أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وأن تقيم الصلاة . . وتؤتى الزكاة . . وتصوم رمضان . وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلا . . فمن كان آخر كلامه : لا إله إلا الله دخل الجنة . . وفى الحديث القدسى « لا إله إلا الله حصنى . . من قالها دخل حصنى . . ومن دخل حصنى . . أمن عذابى . »

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

« أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله . . » فهى الكلمة الطيبة . . وهى كلمة التقوى . . وهى العروة الوثقى

هذا . . ولقد سأل موسى عليه السلام ربه أن يخصه بذكر يذكره به دون سائر الناس . . فقال الله يا موسى : قل لا إله إلا الله .

فقال موسى : يا رب كل الناس تقولها .

فقال الله تعالى : « يا موسى . . أما علمت أنه لو وضعت لا إله إلا الله فى كفة والسموات والأرض فى كفة . . لرجحت كفة لا إله إلا الله . . » .

وقد سأل عليّ (كرم الله وجهه) رسول الله (ﷺ) : أن يخصه بذكر يذكر الله به دون سائر خلقه ؟

فقال الرسول (ﷺ) يا على . . قل : لا إله إلا الله . .

فقال عليّ (رضي الله عنه) : يا رسول الله كل الناس تقولها .

فقال المصطفى (ﷺ) : يا علي . . قل : « لا إله إلا الله . . قل : لا إله إلا الله . . قل : لا إله إلا الله » .

إنها خير ما في السموات والأرض . . وإنها خير من السموات والأرض .

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . . أي : تمسكوا بدين الله تعالى . ولا تتفرقوا فيه . . ولا تختلفوا عليه . .

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(1) .

أي : واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء . . فأصبحتم بنعمة الله أحبابا . . وكنتم كافرين . . فأصبحتم بنعمته مؤمنين . . وكنتم من أهل الجحيم . . فأصبحتم بنعمته من أهل النعيم المقيم . . فأنقذكم من النار . . وأدخلكم الجنة مع الأبرار . . فاذكروا هذه النعم لتسعدوا في هذه الدار وتلك الدار . .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(2) .

أي : ولتقم منكم طائفة تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . . تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . . وهؤلاء هم الفائزون في الدنيا . . الفائزون في الآخرة . .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(3) .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(4) .

---

(1) ١٠٣ آل عمران .
(2) ١٠٤ آل عمران .
(3) ١١٠ آل عمران .
(4) ٣٣ ، ٣٥ فصلت .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

« الدين النصيحة . . الدين النصيحة . . الدين النصيحة . . قيل : لمن يا رسول الله ؟

قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . . »[1] .

هذا . . ولقد جاء رجل إلى ابن عباس (رضي الله عنه) وقال له :

يا ابن عباس . . أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر . . فعظنى . .

فقال له ابن عباس : وهل أعددت نفسك لهذا ؟

قال : وكيف أعد نفسى لذلك ؟

قال : بثلاثة أمور حتى لا تفتضح أمام الله . .

قال له : وما هى هذه الثلاثة يا ابن عباس ؟

قال : أولها . . قوله تعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2] . أأحكمت هذه الآية !؟

قال : لا . . فما الثانية يا ابن عباس ؟

قال : ثانيها . . قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[3] . أأحكمت هذه الآية !؟

قال : لا . . فما الثالثة يا ابن عباس ؟

قال : ثالثها . . قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام لقومه :

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[4] . أأحكمت هذه الآية ؟!

قال : لا . .

---

(١) متفق عليه .

(٢) ٤٤ البقرة .

(٣) ٢ ، ٣ الصف .

(٤) ٨٨ هود .

قال : إذن . . فابدأ بنفسك أولاً . . حتى يطابق القول العمل . . ولا يخالف القول . . ما تدعو الناس إليه . .

فليس من المعقول أن تأمر الناس بالصدق . . وأنت كاذب . . أو أن تدعو الناس إلى الأمانة وأنت خائن . .

هذا . . ولا يكون المرء مؤمناً حتى يكون قلبه ولسانه سواء . . لقوله (ﷺ) :

« إن الرجل لا يكون مؤمناً . . حتى يكون قلبه مع لسانه سواء . . ولسانه مع قلبه سواء . . ولا يخالف قوله عمله . . »[1] .

فاحذر أن تقول ما لا تفعل . . حتى لا تضيء للناس وتظلم على نفسك . . أو أن تضيء للناس وتحرق نفسك . . كما ورد فى الحديث الشريف : « مثل الذي يأمر الناس بالخير . . وينسى نفسه . . كمثل السراج يضيء للناس . . ويحرق نفسه » . .

فما أهلك الذين من قبلنا . . إلا أنهم أمروا الناس بما لم يفعلوا . . وقالوا لهم ما لم يعملوا . . فأخذوا بأيديهم إلى الجنة ودخلوا النار . . فقد جاء في الحديث الشريف : « إن أناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار . . فيقولون : بم دخلتم النار ؟ والله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم . . فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل » . .

فاحذر أن تخالف ما تقول . . أو تأمر الناس بما لا تعمل . .

فقد سئل الحسن (رضي الله عنه) ذات يوم أن يعظ الناس فى فضل عتق الرقاب . .

فقال لهم : أفعل إن شاء الله .

وانتظر الناس شهراً وشهرين دون أن يفعل . .

فقالوا له : يا ابن بنت رسول الله . . سألناك أن تحدثنا فى فضل عتق الرقاب . . فلم تفعل . . ؟

قال لهم : أفعل إن شاء الله . .

وبعد ثلاثة أشهر وعظهم فى فضل عتق الرقاب . .

فقالوا له : يا ابن بنت رسول الله . . لماذا تأخرت علينا ثلاثة أشهر ؟

قال : كنت أنتظر حتى أشترى رقبة . . فأعتقها . . حتى لا يخالف قولى عملى . . وحتى أقول ما أفعل . .

---

(١) رواه الأصبهانى .

إلى هذه الدرجة كانوا يخافون أن يقولوا ما لا يفعلون . . ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] .

فاحرص أن يطابق قولك عملك . . فمن طابق قوله عمله . . فذلك هو العدل . . ومن خالف قوله عمله . . فذلك هو الظلم . .

فاحرص أن يطابق قولك عملك . . وسرك علنك . . ولسانك قلبك . . حتى تكون عادلاً مع نفسك . . صادقاً مع الله . .

هذا . . وإن من أركان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة . . حتى يؤتى ثماره فى الدنيا والآخرة . .

فقد وعظ أحد الأئمة عبد الملك بن مروان . . وأغلظ له فى القول . .

فقال له عبد الملك بن مروان : يا هذا . . أنت لست خيراً من موسى وهارون . . وأنا لست شراً من فرعون . . ومع هذا . . قال الله تعالى لموسى وهارون : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[2] .

فيا هذا . . اتق الله . . وخفف من غلوائك . . وادع إلى الله بأدب . . حتى تؤتى دعوتك ثمارها فى الدنيا والآخرة . .

● ● ●

أحب عباد الله إلى الله

يقول تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[3] .

أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت فى المؤذنين الذين يدعون الناس إلى عبادة الله تعالى . . فهم أحسن الناس قولاً . . وكيف لا ؟ وهم ينشدون أحلى نشيد : الله أكبر الله أكبر . . ويرددون أحلى شهادتين فى الوجود . . أشهد أن لا إله إلا الله . . وأشهد أن

---

(١) ٣ الصف .

(٢) ٤٣ ، ٤٤ طه .

(٣) ٣٣ فصلت .

محمداً رسول الله . . ويدعون الناس إلى الصلاة وإلى الفلاح . . والنجاح . . حي على الصلاة . . حي على الفلاح . .

يقول الهادى البشير (ﷺ) :

« المؤذنون أطولكم أعناقاً يوم القيامة »(1) .

وكان بلال بن رباح مؤذن الرسول (ﷺ) وإمام المؤذنين إلى يوم الدين . .

قد عزم ألا يؤذن بعد وفاة الرسول (ﷺ) وترك المدينة واستقر بالعراق فترة من الزمن إلى أن جاءه رسول الله (ﷺ) فى المنام . . فقال له : ما هذه الجفوة يا بلال . . ألا تزورنى؟!

فقام بلال من نومه مذعوراً يبكى . . وركب دابته إلى المدينة . . وكله شوق إلى بلد الحبيب المصطفى (ﷺ) وقف بلال أمام قبر النبى (ﷺ) كما يقف فى الصلاة . . خاشعاً متبتلاً . . يتنسم النسمة الطاهرة . . ويسترجع الذكرى العاطرة . . سابحاً فى بحر من الأشواق ينشد الأحبة . محمداً وصحبه . .

وبينما هو كذلك فى حديقة العطر ، وبستان الإيمان ، إذ تطوف حوله ريحانتان . . كان يشمهما النبى (ﷺ) فى الدنيا . . يجد الحسن والحسين فى روضة الإيمان يحتضنانه . . ويقبلانه . . ويبكيان . . لم يتمالك بلال نفسه عندما رآهما . . فبكى وانفطر . . وانكب على قبر النبى (ﷺ) يذرف الدمع والأنين . . والشوق والحنين . . فدنا منه الحسن والحسين يناشدانه بالله أن يسمعهما صوته . . وأن يؤذن كما كان يؤذن أيام النبي (ﷺ) . . فلم يجد بلال بداً من أن يرجع عن قراره القديم . . الذى أخذه على نفسه . . ألا يؤذن لأحد بعد النبى (ﷺ) . . لقد وجد فى الحسن والحسين صورة جدهما محمد (ﷺ) فمن أراد أن ينظر إلى النبى (ﷺ) فلينظر إلى الحسن والحسين . . وتقدم بلال يجر خطاه . . وصعد فوق سطح المسجد النبوى . . كما كان يفعل أيام النبى (ﷺ) وأذن : الله أكبر . . فارتجت المدينة . . فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله . . ضجت المدينة عن آخرها . . فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله (ﷺ) خرجت المدينة على بكرة أبيها . . مرتجفة خاشعة وكأنه يوم الحشر الأكبر . . والناس يتساءلون :

هل بعث محمد (ﷺ) من جديد . . ؟!

---

(1) رواه أحمد والطبرانى .

فقد أهاج بلال (رضي الله عنه) الذكرى العظيمة . . وحرك الأشجان القديمة . . والناس بين باك وخاشع وراكع وساجد . .

وكيف لا ؟

وقد أعاد إليهم صوتاً من الجنة . . . . .ارتبط عطاؤه بالحبيب المصطفى (ﷺ) الذى اتصلت أنواره بالفردوس الأعلى . . والنور المقدس . . بالذات العلية . . والروح القدس . . والأرواح القدسية . . بالأنوار اللدنية . .

من مأثور كلام المصطفى (ﷺ) :

* « ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة . يغبطهم الأولون والآخرون .

١ - عبد أدى حق الله وحق مواليه . . أى : لم يشغله عمله عن حقوق الله عليه .

٢ - ورجل أمّ قوماً وهم به راضون

٣ - ورجل ينادى بالصلوات الخمس فى كل يوم وليلة »[(١)] .

* « لو يعلم الناس ما فى الأذان لتضاربوا عليه بالسيوف »[(٢)]

* « اللهم اغفر للمؤذنين »[(٣)] .

* « أحب عباد الله إلى الله المؤذنون »[(٤)] .

فإذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول . ثم صلوا على الرسول (ﷺ) .

• • •

---

(١) رواه أحمد والترمذى .
(٢) رواه أحمد .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط .

﴿ الله لطيف بعباده ﴾[1]

« لا يرد القضـــــاء إلا الدعـــــاء

ولا يـــزيـــد فى العمـــر إلا الـــبر »[2]

(١) ١٩ الشورى

(٢) رواه الترمذى .

إن ربى لطيف لما يشاء

يقول تعالى :

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾(١) .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾(٣) .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

* « لا يرد القضاء إلا الدعاء . . ولا يزيد فى العمر إلا البر »(٤) .

* « الدعاء سلاح المؤمن . . وعماد الدين . . ونور السموات والأرض »(٥) .

* « الدعاء هو العبادة »(٦) .

وقد جاء فى الأثر :

* « اللهم إنى لا أسألك رد القضاء . . ولكن أسألك اللطف فيه » . .

* « يلتقى الدعاء مع القضاء . . بين الأرض والسماء فيعتركان . . يقول القضاء : أنا نازل بأمر الله . . ويقول الدعاء : وأنا صاعد بأمر الله . . فيهزم الدعاء القضاء » .

ويقولون :

عندما أراد إخوة يوسف أن يلقوه فى الجب وهو غلام صغير . . ظلوا يبحثون عن جب عميق موحش . . فوجدوا بئراً موحشاً مظلماً عميقاً . . وهموا بإلقائه فيه . . فتعلق بهم . . وتوسل إليهم وهو يبكى : ألا يرموه فى ظلمات البئر . . فأبوا . . وخلعوا عنه قميصه . . وطرحوه على الأرض وأوثقوه بالحبال . . حتى يسقط فى أعماق البئر دون عناء . . فلما رأى يوسف إصرارهم على التخلص منه . . ورأى نار الغضب تخرج شرراً من أعينهم ، قال لهم يستعطفهم : يا إخوتى ردوا على قميصى . . فإذا أنا عشت كان غطائى . . وإذا أنا مت كان كفنى . .

---

(١) ١٩ الشورى .
(٢) ١٤ الملك .
(٣) ٣٤ الأحزاب .
(٤) رواه الترمذى عن سلمان الفارسى .
(٥) رواه الحاكم عن أبى هريرة (رضي الله عنه) .
(٦) رواه مسلم وغيره .

قالوا له : ادع الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر الذين سجدوا لك فليغطوك . . وليكفنوك . . وربطوه في الحبل ودلوه . . حتى بلغ منتصف البئر . . وهو يصرخ ويستغيث . . ولا مغيث . . وقد قست قلوبهم . . فهي كالحجارة أو أشد قسوة . . حتى اختفى صوته أو كاد يختفي . . عندئذ قطعوا الحبل بغلظة وقسوة . . فسقط في الحال في ماء الجب لعله يموت .

فظل يقاوم الماء والظلام . . والبئر والصخور والهوام . . حتى ينجو من الموت . . فنزل جبريل عليه السلام . . والتقطه من البئر . . ومسح عنه الحزن والخوف . . وقال له : هل أدلك على كلمات تنجيك من هذا الكرب العظيم ؟ فقال : نعم . .

قال : قل : « اللهم يا سامع كل نجوى . . ويا شاهد كل بلوى . . ويا صاحب كل غريب . . ويا مؤنس كل وحيد . . ويا مفرج كل كرب . . ائتني بالفرج والرجاء . . واقذف رجاءك في قلبي حتى لا أرجو أحداً سواك » . .

وما كاد ينتهي من دعائه هذا . . حتى وجد دلواً ينزل عليه . . فتعلق فيه . . فلما جذبه صاحبه . . ورأى يوسف . . ﴿ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ * وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(1) .

وهذا من لطف الله بيوسف عليه السلام . . فقد أراد به إخوته ذلاً فجعله الله عزيزاً . . وأرادو به فقراً . . فجعله الله غنياً . . وأرادوه عبداً . . فجعله الله ملكاً . . وملك مصر . . وأحوجهم إليه . . وجاء بهم جميعاً . . وعفا عنهم . . ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾(2) .

● ● ●

---

(1) ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ يوسف .
(2) ١٠٠ يوسف .

وهذا سر من أسرار الله

* إن من أسرار القرآن . . ومن أسرار نصر الله ليوسف عليه السلام . . قوله تعالى : ﴿ إن ربى لطيف لما يشاء ﴾ فقد لقنها الله ليوسف عليه السلام . . فنقله الله من الظلمات إلى النور . . ومن الذل إلى العز . . ومن العبودية . . إلى أن صار عزيز مصر . . وأسجد إليه أبويه وإخوته . .

.. فسبحان لله ..

انظر . . كيف نصر الله يوسف على أخوته . . وكيف جعله عليهم . . وكيف أحوجهم إليه . . وكيف أذلهم وأعزه . . وكيف أفقرهم وأغناه . . وكيف وضعهم ورفعه . . فقد ألقوه فى الجب ليموت . . وتصفو لهم الحياة . . فأحياه الله أعظم حياة . . وعكر عليهم صفو الحياة . . انظر . . لم يرحموه وهو الذى لم يقترف ذنبا . . ورحمهم وكانوا آثمين . . ﴿ قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[1] وقد أرادوا به كيداً . . وأراد الله به مجداً . . حتى أصبحت له سورة فى القرآن . . يتعبد بها إلى يوم القيامة . . وأصبح اسم يوسف على كل لسان . . وأصبح اسم يوسف من كلمات الله الخالدة . . التالدة . . إلى يوم القيامة . . فلا يذكر اسم يوسف . . إلا ويذكر معه الجمال . . فقد أوتى شطر الحسن والجمال . . ولا يذكر اسم يوسف إلا ويقال عليه السلام . . ولا يذكر إخوة يوسف إلا ويمسك المسلمون عن الكلام . . ويصفهم الجاهلون باللئام . . وينسون أنهم إخوة كرام . . ليوسف عليه السلام . .

عليه الصلاة عليه السلام — رسول الجمال . . أمير الأنام
سمير الكواكب . . زهر النجوم — وشمس المكارم . . بدر التمام
ففى خافقيه حور حسان — وفى مقلتيه ملوك كرام
وفى أصغريه جنات عدن — وتحت يديه دار السلام

(١) ٩٢ يوسف .

ومن قطوف الحكمة :

يقول رسول الله (ﷺ) :

إن الله عز وجل يقول :

« أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا دعانى »[1] .

« ومن سره أن يستجيب الله له عند الشدائد . . فليكثر من الدعاء عند الرخاء »[2] .

ومن قطوف الشعر :

يا لطيفاً بخلقه أنت تعطى وتمنعُ
قد تحيرت سيدى دلنى كيف أصنعُ

• • •

وكان الإنسان عجولا

يقول تعالى :

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[3] .

* ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾[4] .

* ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[5] .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

« ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس . . . »[6] .

« لا يغنى حذر من قدر . . والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء ينزل فيلقاه الدعاء . . فيعتلجان إلى يوم القيامة »[7] .

---

(١) متفق عليه عن أبى هريرة (رضي الله عنه) .
(٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة (رضي الله عنه) .
(٣) ١٦ لقمان . (٤) ١٦ النحل .
(٥) ١٠٣ الأنعام . (٦) متفق عليه .
(٧) رواه البزار والطبرانى عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) .

﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾[1]

ولقد كان سليمان عليه السلام من الذين علمهم الله المنطق وآتاهم ملكاً عظيماً . . فكان عليه السلام يكلم الطير والحيوان والدواب . . فكان يكلم الهدهد والنملة والقطة . . . إلخ .

وذات يوم جاءه سائل علم . وقال له : يا نبى الله . . علمنى منطق القطط . . فإنها تعلم بعض الغيبيات . . ومكشوف عنها الحجاب . . وأريد أن أعلم عنها شيئاً . .

فقال له سليمان عليه السلام :

دعك من هذا . . واشكر الله على ما أنت فيه . .

قال له : ناشدتك بالله . . يا نبى الله . . أن تعلمنى منطق القطط . .

قال له سليمان عليه السلام :

أخشى عليك منها . .

قال له :

لا تخش علىّ . .

فعلمه سليمان عليه السلام منطق القطط .

ورجع الرجل إلى بيته سعيداً بهذا العلم الجديد . . والمنطق السديد . . فجلس إلى أهله مغتبطاً مسروراً . . وكانت عنده قطتان . . فأرهف أذنيه يستمع إليهما . . فسمع إحداهما تكلم الأخرى وتقول :

نحن جائعتان . .

فقالت لها : اصبرى . . فإن سيدتى هذى . . سوف تقع غداً وتنكسر ساقها . . وسوف يذبح سيدى شاة فداء لها . . وسوف نأكل لحماً وثريداً . . ونشرب مرقة حتى نشبع . .

سمع الرجل ما دار من حوار . . وابتسم . . وأسرع إلى زوجته وربطها على سريرها حتى لا تقع . . ولا تنكسر . . ومضى اليوم بسلام . .

---

(١) ٣٧ الأنبياء .

فقالت القطة لرفيقتها : ها هي الشمس قد غربت ولم تتكسر رجل سيدتي . . ولم تذبح الشاة . . ولم نأكل لحماً ولا ثريداً ولم نشرب مرقة . . حتى نشبع . . كما قلت . . وقد ازددنا جوعاً على جوعنا .

قالت لها : اصبري سوف يقع جمل سيدي ويصاب في رأسه . . ويجرح في رقبته . . وسوف يذبح سيدي شاة فداء لهذا الجمل . . وسوف نأكل لحماً وثريداً . . ونشرب مرقة حتى نشبع . .

سمع الرجل ما دار من حوار . . وذهب إلى الجمل . . وربطه . . وشد وثاقه جيداً . . حتى لا يصاب بأذى . .

ومضى اليوم التالي بسلام دون أن يمس الجمل بأذى . .

فقالت القطة لرفيقتها : ها هي الشمس قد غربت . . ولم يصب الجمل بسوء . . ولم تذبح الشاة . . ولم نأكل لحماً ولا ثريداً . . ولم نشرب مرقة حتى نشبع . . كما قلت . . وقد ازددنا جوعاً على جوعنا . . لليوم الثالث على التوالي . .

قالت لها : اصبري . . سوف يموت سيدي غداً . . وسوف يذبحون شاة للمعزين . . ونأكل لحماً وثريداً . . ونشرب مرقة حتى نشبع . .

قالت لها : متى ؟

قالت لها : غداً إن شاء الله . .

فقام الرجل مذعوراً إلى نبي الله سليمان (عليه السلام) وقص عليه ما قالته القطة . .

قال له سليمان (عليه السلام) :

لقد نصحتك فأبيت . . وتطلعت إلى الغيب وطغيت . .

قال : كيف ؟

قال : لقد لطف الله بك فلم تقبل . .

قال : كيف ؟

قال : لقد أراد الله أن يفديك بكسر رجل زوجتك . . فأبيت . .

فأراد أن يفديك بجرح رأس جملك . . فأبيت . .

فلما لم ترض بلطف الله بك . . أطلق الله قضاءه فيك . .

قال : وما العمل يا نبي الله ؟

قال : قضي الأمر . !

قال له : ماذا تعنى ؟

قال له : ستموت غداً إن شاء الله .

وهكذا . .

فلو ترك الله الأمر لابن آدم لأهلك نفسه بنفسه . . فهاهو عجول . . وهاهو جهول . . فكم يدعو على نفسه . . وهو يظن أنه يدعو لنفسه . . وكم يستعجل الإجابة وفيها هلاكه . . وكم يرجو من الله . . ما لا يرجوه الله له . . لضيق أفقه . . وقصر نظره . .

وصدق الله العظيم :

﴿ وَيَدْعُ الإنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولا ﴾[1] .

وجاء فى الأثر :

* لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع .

* لن يهلك مع الدعاء أحد .

وجاء فى الشعر :

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل   الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل

• • •

اللهم زد أمتى

قال تعالى :

* ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[2] .

ويقول تعالى فى الحديث القدسى :

« إذا ابتليت عبدي بمصيبة في ماله .. أو أهله .. أو بدنه .. فصبر صبراً جميلاً .. استحييت يوم القيامة .. أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً » .

---

(١) ١١ الإسراء .

(٢) ١٥٥ ، ١٥٧ البقرة .

ويقول رسول الله (ﷺ) :

« إذا أحب الله عبداً ابتلاه . . فإذا رضى بما ابتلاه اصطفاه . . »[1] .

هـذا . .

ولما نزل قوله تعالى :

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا . . . ﴾[2] .

رفع رسول الله (ﷺ) يديه إلى السماء . . وقال :

« اللهم زد أمتى !! » .

فنزل قوله تعالى :

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا . . . ﴾[3] .

فرفع رسول الله (ﷺ) يديه إلى السماء . . وقال :

« اللهم زد أمتى !! » .

فنزل قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4] .

فرفع رسول الله (ﷺ) يديه إلى السماء . . وقال :

« اللهم زد أمتى !! » .

فنزل قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[5] .

فرفع رسول الله (ﷺ) يديه إلى السماء . . وقال :

« اللهم زد أمتى !! » .

فنزل قوله تعالى :

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[6] .

فرفع رسول الله (ﷺ) يديه إلى السماء . . وقال :

« يا رب لن أرضى وواحد من أمتى فى النار » .

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) ٨٤ القصص .
(٣) ١٦٠ الأنعام .
(٤) ٢٦١ البقرة .
(٥) ١٠ الزمر .
(٦) ٥ الضحى .

فقال الله تعالى :

« يا محمد ! ! لو شئت جعلت أمر أمتك إليك » . .

فقال رسول الله (ﷺ) :

« لا . . يا رب . . أنت أرحم بهم منى . »

قال الله تعالى :

«إذن لا أخزيك فيهم أبداً » . .

– ومن أجمل ما قيل فى هذا . . ما ورد أن جعفر الصادق (رضي الله عنه) قال :

عجبت لمن ابتلى بأربع كيف يغفل عن أربع :

١ - **الخــــوف** : عجبت لمن ابتلى بالخوف . . كيف يغفل عن قول الله تعالى :

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . . . ﴾(١) .

ولقد سمعت الله بأذنى يقول بعقبها :

﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾(٢) .

٢ - **مكر الناس** : وعجبت لمن ابتلى بمكر الناس . . كيف يغفل عن قوله تعالى :

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾(٣) .

ولقد سمعت الله بأذنى يقول بعقبها :

﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾(٤) .

٣ - **كشف الضر** : وعجبت لمن ابتلى بالضر كيف يغفل عن قول الله تعالى :

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . . ﴾(٥) .

ولقد سمعت الله بأذنى يقول بعقبها :

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾(٦) .

---

(١) ١٧٣ آل عمران .
(٢) ١٧٤ آل عمران .
(٣) ٤٤ غافر .
(٤) ٤٥ غافر .
(٥) ٨٣ الأنبياء .
(٦) ٨٤ الأنبياء .

٤ - **كشف الغم :** وعجبت لمن ابتلى بالغم . . كيف يغفل عن قوله تعالى :
﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(١) .
ولقد سمعت الله بأذنى يقول بعقبها :
﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ من الْغَمِّ وكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) .

• • •

خيـراً منهـا

وعندما مات أبو سلمة زوج أم سلمة . . قال الناس لها :
قولى : اللهم أجرنى فى مصيبتى . . واخلف لى خيراً منها .
فقالت لهم : ومن كأبى سلمة . . حتى يخلف لى الله خيراً منه ؟!
قالوا لها : قوليها
فلقد سمعنا رسول الله (ﷺ) يقول :
« إذا أصاب أحدكم مصيبة . . فقال :
إنا لله وإنا إليه راجعون !!
اللهم أجرنى فى مصيبتى . . واخلف لى خيراً منها .
إلا آجره الله فى مصيبته . . وأخلفه خيراً منها . . »
فقالتها . أم سلمة .
فأخلفها الله خيراً من أبى سلمة . .
وخطبها رسول الله (ﷺ) . . وأصبحت زوجًا لرسول الله (ﷺ) . . وأماً للمؤمنين . .
وصدق الله ورسوله (ﷺ) .

• • •

(١) ٨٧ الأنبياء .
(٢) ٨٨ الأنبياء .

قطـوف

ومن قطوف الحكمة النبوية :

* « المصيبة تبيض وجه صاحبها . . يوم تسود الوجوه »[1] . .

* « لا وصب ولا نصب ولا حتى الشوكة . . يشاك بها الرجل فى قدمه . . إلا كفر الله بها ذنباً . . وحط بها خطيئة »[2] . .

* « من يرد الله به خيراً : يصب منه . . أى : يبتليه بمصيبة »[3] . .

بذنبـي

وكانت السيدة أسماء (رضى الله عنها) . .

إذا أصابتها مصيبة . . أو أصابها مكروه . . عظـم أو حقـر . . قلّ أو كثر . قالت « بذنبى » .

أى : إن هذا . . بعاقبتى . . أى : بعملى . . فتتهم نفسها : أن هـذا الذى جـرى لها . . بذنبها وعـملها . . وليس من عند الله . . لأن كل ما عنـد الله خير ولا يأتى الله إلا بالخـير . .

قطوف وحـروف

جاء فى الأثر :

* « ما أخطأك لم يكن ليصيبك . . وما أصابك لم يكن ليخطئك . . »

* « لا ينزل عذاب من السماء إلا بذنب . . ولا يرفع إلا بتوب . . » .

* « الإيمان نصفان : نصف صبر . . ونصف شكر . . » .

ومن أجمل ما قيل :

* « النصر مع الصبر . . » .

* « الشجاعة . . صبر ساعة . . » .

* « لا كرب ولى رب . . » .

● ● ●

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط عن بن عباس .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

حــق الجــار

قال تعالى .

﴿ وَالْجارِ ذي الْقُرْبَىٰ والْجارِ الْجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ﴾[1] .

قال الهادى البشير :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره »[2] .

---

(١) ٣٦ النساء

(٢) حديث شريف

حقــوق الجــار

يقول تعالى :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[1] .

يقول رسول الله (ﷺ) :

* « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »[2] .

* « والله لا يؤمن . . والله لا يؤمن . . والله لا يؤمن . . قيل من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه »[3] .

* « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه »[4] .

* « لأن يزنى الرجل بعشرة نسوة . . أيسر عليه من أن يزنى بحليلة جاره »[5] .

* « ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات . . أيسر عليه من أن يسرق من جاره »[6] .

● ● ●

كل أربعين داراً جار

هـذا . .

ولقد بعث النبى (ﷺ) أبا بكر وعمر وعلياً (رضى الله عنهم) . . يأتون المسجد . . فيقومون على بابه فيصيحون : « ألا إن أربعين داراً جار . . »[7] .

أى : أن أربعين جاراً من اليمين . . وأربعين جاراً من الشمال . . وأربعين جاراً من الشرق . . وأربعين جاراً من الغرب . . يعنى : يعتبر جاراً لك كل من كان بينه وبين بيتك أربعون بيتاً من جميع الجهات . . أى : أن كل الناس جيران . .

● ● ●

---

(١) ٣٦ النساء .
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه الطبرانى .
(٦) رواه أحمد .
(٧) رواه الطبرانى .

الجار الملعون

وعن أبى جحيفة (رضي الله عنه) قال : « جاء رجل إلى الرسول (ﷺ) يشكو جاره . . فقال له النبى (ﷺ) : اذهب فاصبر . . ثم جاءه مرة أخرى . . فقال له : اذهب فاصبر . . ثم جاءه الثالثة . . فقال له : اذهب فاطرح متاعك فى الطريق . . ففعل . .

فجعل الناس يمرون ويسألونه . . فيخبرهم خبر جاره . . فجعلوا يلعنونه . . ويدعون عليه . . فجاء الرجل إلى النبى (ﷺ) وقال : لقيت من الناس . . قال : وما لقيت منهم ؟ قال : يلعنوننى . . قال : لقد لعنك الله قبل الناس . . فقال إنى لا أعود . . وذهب إلى جاره وقال : رد متاعك فإنى لا أوذيك أبداً . . فقال له النبىَ (ﷺ) : ارفع متاعك فقد كفيت »[1] . .

وهذا درس عظيم من دروس النبوة . . يوحى ببعد النظر . . وسياسة الأمور . .

• • •

حقوق الجار عشرة

ولما كان حق الجار عظيماً عند الله . . أوصى به وصية تقترب من الفريضة . . وذلك لأنه أقرب الناس إليك . . فهو أقرب من الأخ والأخت وأقرب من الأهل . . لأنه أول من يسمعك إذا ناديت . . وأول من يجيبك إذا سألت . . وأول من يغيثك إذا استغثت . . وأول من يهنيك إذا فرحت . . وأول من يعزيك إذا حزنت . . وأول من يكفيك إذا احتجت . . وأول من يعطيك إذا حرمت . . وأول من يسترك إذا انكشفت . . وأول من يرضيك إذا غضبت . . وأول من يحملك إذا أصبت . . وأول من يعودك إذا مرضت . . وأول من يشيعك إذا ما مت . .

وهكذا فإن الجار . . أقرب الأقربين إليك إذا صح جواره . .

فلقد جاء رجل إلى النبى (ﷺ) فقال :

يا رسول الله ما حق الجار ؟ قال (ﷺ) :

---

(١) رواه أبو داود والحاكم .

« أتدرى ما حق الجار ؟ :

١ - إذ استعانك أعنته . .

٢ - وإذ استقرضك أقرضته . .

٣ - وإذا افتقر أغنيته . .

٤ - وإذا مرض عدته . .

٥ - وإذا أصابه خير هنأته . .

٦ - وإذ أصابته مصيبة عزيته . .

٧ - وإذ ا مات شيعته . .

٨ - ولا تستطيل عليه بالبنيان . . فتحجب عنه الريح إلا بإذنه . .

٩ - ولا تؤذه بقتار ريح قدرك . . إلا أن تغرف له منها . .

١٠ - وإن اشتريت فاكهة . . فأهد له . . فإن لم تفعل . . فأدخلها سراً . . ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده . . »[1] .

• • •

ثلاثة فى النار

هذا . .

وقد روى فضالة بن عبيد الله (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) :

« ثلاثة من الفواقر :

* إمام إن أحسنت لم يشكر . . وإن أسأت لم يغفر . .

* وجار سوء إن رأى خيراً دفنه . . وإن رأى شراً أذاعه . .

* وامرأة إن حضرت آذتك . . وإن غبت عنها خانتك »[2] .

---

(١) رواه الخرائطى من مكارم الأخلاق .

(٢) رواه الطبرانى .

هــذا :

وإن الجـار لا يكون مؤمنـًا حـقـاً . . إذا كان يملك فـضـلاً ولا يعود به عـلى جاره إذا كـان فى حاجة . . أو ينام مسروراً وجاره حزين . . أو ينــام شـبعـاناً وجــاره جائع . . وهو يعــلم . . . إلخ .

وهذه دعوة للتعاون والتكافل من أجل توثيق عرى المحبة والمودة بين المسلمين . .

ففى الحديث الشريف :

« ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع .. » (1) .

إلى هــذا الحد يهتم الإسـلام بحقـوق الجـــار على جاره . . ويزيد فيها إلى درجـة ســامية . .

فقد روى رجل من الأنصار . . فقال :

« خــرجت مع أهلى أريد النبى (ﷺ) . . وإذا به قـائم . . وإذا رجل مـقـبل عليـه فظننت أن له حاجة . . فجلست . . فوالله . . لقد قام رسول الله (ﷺ) حتى جعلت أرثى له . . أى : أشفق عليه . . من طول القيام . . ثم انصرف . . فقمت إليه . . فقلت : يا رسـول الله . . لقد قـام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القـيام . . قـال : أتدرى من هذا ؟ قلت : لا . . قـال : جبريل (عليه السلام) . . ما زال يـوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . . . أما إنك لو سلمت عليه . . لرد عليك السلام . . » (2) .

هــذا . .

ولقـد كان الجار من وصـايا الرسـول (ﷺ) فى حـجـة الوداع . . ودائـمـاً . . تكون الوصايا الأخيرة بالأمور العظيمة . .

فعن أبى أمامة (رضي الله عنه) قال :

«سـمعت النبى (ﷺ) وهو على ناقـتـه القـصـواء . . فى حـجـة الوداع . . يقـول : أوصيكم بالجار حتى أكثر . . فقلت : إنه يورثه » (3) .

• • •

---

(1) رواه أحمد .

(2) رواه أحمد والطبرانى .

(3) رواه الطبرانى .

الجيران ثلاثة .. والحقوق ثلاثة

هـذا . .

وإن الوصية بالجار : تشمل كل الجيران الجار المسلم القريب والجار المسلم والجار الذمى أو الكافر . . لا فرق بينهم فى الحقوق . . فلكل من هؤلاء حقوق ينبغى مراعاتها . . فما هى هذه الحقوق ؟ ومن هم هؤلاء الجيران ؟!

١ - الجار المسلم القريب .. له ثلاثة حقوق :

* حق الإسلام . * وحق القرابة * وحق الجوار

٢ - الجار المسلم له حقان :

* حق الإسلام . * وحق الجوار

٣ - الجار الغير مسلم . له حق واحد

* حق الجوار .

إلى هذا الحد كفل الإسلام حتى للكافر حقوقاً يحفظها له جاره ويحفظ له جواره . . ليعم السلام . . ربوع الأرض وتلك سماحة الإسلام . التى أظلت أهل الكتاب . . وأظلت الكفرة والمشركين تحت ظلال لا إكراه فى الدين

● ● ●

أســوة حسنة

وهذا رسـول الله (ﷺ) أول من يحفظ هذه الحقوق ويعمل بها ليضرب المثل . . ويسن السنة . . ويكون القدوة لصحابته ولمن جاء بعده من المسلمين

ونحن نعلم قصة اليهودى الذى كان يلقى بفضلاته أمام بيت رسول الله (ﷺ) وكان النبى (ﷺ) يزيلها كل صباح . . وذات صباح . قام النبى (ﷺ) فلم يجد ما اعتاده من اليهودى . . فسأل عنه . . فقيل : إنه مريض فذهب إليه النبى (ﷺ) ليعوده . فأصابت اليهودى قشعريرة الإيمان . . فقال :

يا رسول الله . . آذيك وتعودنى وأضرك فتنفعنى وأسيئك وتحسن إليّ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله !!

مكارم الأخلاق

بتلك الأخلاق الكريمة . . والمكارم العظيمة . . كان النبي (ﷺ) يعامل من جاوره . . حتى وإن آذاه . . فيحول العداوة محبة . . والإساءة حسنى . . والشر خيراً . . والكفر إيماناً . . وصدق الله العظيم : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ .. ﴾[1] .

وهذا . . هو عبد الله بن عمر تلميذ النبوة . . (رضي الله عنه) يذبح شاة . . ويسأل أهله : أهديتم لجارنا اليهودى ؟ أهديتم لجارنا اليهودى ؟!

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

« ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »[2] .

وإذا كان ذلك كذلك . .

فإن الجا ر الصالح . . من سعادة المسلم . .

فإذا كان الجار صالحاً . . كان ذلك من حسن توفيق الله له . . لأنه . . يخاف عليه ما يخافه على نفسه . . ويحب له ما يحبه لنفسه . . فيأمنه على نفسه وأهله وماله إذا غاب . . ويؤنسه إذا حضر . . إلخ .

يقول رسول الله (ﷺ) :

« أربع من السعادة :

١ - المرأة الصالحة .
٢ - الدار الواسعة .
٣ - الجار الصالح .
٤ - المركب الهنىء .

وأربع من الشقاء :

١ - المرأة السوء .
٢ - والجار السوء .
٣ - والمركب السوء .
٤ - والمسكن الضيق » .[3] .

---

(١) ٣٤ ، ٣٥ فصلت .
(٢) رواه أبو داود والترمذى .
(٣) رواه ابن حبان .

ويقولون : « الجار وإن جار »[1] .

أى أحسن إلى جارك . . وإن جار عليك وظلمك لأن الإسلام يأمرنا بالإحسان إلى الناس جميعاً . . وخاصة المسلمين منهم . والمسلمين جميعاً وخاصة الجيران منهم . . والجيران جميعاً وخاصة القريب منهم

هـذا

وإن الله تعالى يدفع بالجار الصالح الكرب والبلاء عمن حوله من الجيران فيكون بركة على من يحيطون به وسلاماً على من يجاورونه

وفى الحديث الشريف يقول الهادى البشير (ﷺ)

« إن الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ (ﷺ) :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض »[2]

من هنا نقول :

من شهد له جيرانه بالصلاح فهو كذلك

ومن شهد له جيرانه بالفساد فهو كذلك

لأن الجار هو المحك الحقيقى لجاره ولا يستطيع الجار أن يخفى عيوبه عن جاره وإن أخفاها عن الناس .

فالجار هو الشاهد على جاره يوم القيامة فإن شهد له بالخير فهو من أهل الخير . . وإن شهد له بالشر . . فهو من أهل الشر وإن صلى وصام

يقول أبو هريرة (رضي الله عنه) . . قال رجل : يا رسول الله

« إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها قال : هى فى النار .

قال : يا رسول الله . . فإن فلانة قليلة الصيام قليلة الصلاة قليلة الصدقة وتحسن إلى جيرانها . . قال : هى فى الجنة !! »[3]

---

(١) حكمة صارت مثلاً فى إكرام الجار

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (٣) رواه أحمد

هـذا . .

وقد جاء في الأثر :

* ألا إن أربعين داراً جار . . من الأمام ، ومن الخلف ، ومن اليمين ، ومن اليسار .

* ما آمن من بات شبعان وجاره جائع .

* أول ما يفصل فيه يوم القيامة بين جارين .

* أول من يدخل النار يوم القيامة . . جار آذى جاره .

● ● ●

حق الجار على الجار

يقول تعالى :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾[1] .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

* « ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع »[2] .

* « من آذى جاره فقد آذاني .. ومن آذاني فقد آذى الله .. ومن حارب جاره فقد حاربني.. ومن حاربني فقد حارب الله عز وجل »[3] .

* « أحسن إلى جارك تكن مؤمناً »[4] .

* « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه.. وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره »[5] .

* « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره .. قالوا : يا رسول الله.. وما حق الجار على الجـــار ؟

قال : إذا سألك فأعطه »[6] .

---

(١) ٣٦ النساء .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) رواه ابن حبان .

(٤) رواه الترمذي .

(٥) رواه الترمذي .

(٦) رواه الأصبهاني .

أوصيكم بالجار

لقد ظل النبى (ﷺ) يوصى بالجار حتى آخر أيامه فى حجة الوداع : « أوصيكم بالجار .. أوصيكم بالجار .. حتى ظن الصحابة أنه سيورثه »[1]

وكان يحذر ويبصر ، . فيقول : « أول خصمين يوم القيامة جاران[2] . . وهذا لا يتعارض مع قوله (ﷺ) : « أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء » فقد يكونا جارين قتل أحدهما الآخر . . وقد يكونا قابيل وهابيل أليسا جارين فضلاً عن أنهما أخوان .

من أجل هذا

كان النبى (ﷺ) يستعيذ بالله من جار السوء فى دار المقامة أى فى الإقامة الدائمة المستمرة .. فكان يقول · « اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول »[3] . أى : لأنهم يسكنون الخيام . . ويتنقلون من مكان إلى آخر حسب الكلأ والمرعى

● ● ●

من شيمة الكرام

إن الإحسان إلى الجار وإن كان كافراً من شيمة المسلمين الكرام فهذا عبد الله ابن عمر (رضى الله عنهما) كان إذا ذبحت له شاة فى أهله قال هل أهديتم لجارنا اليهودى . هل أهديتم لجارنا اليهودى ؟ فإنى سمعت رسول الله (ﷺ) يقول « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »[4]

وهذا أبو ذر يقول : « أوصانى خليلى (ﷺ) قال : « يا أبا ذر .. إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها .. وتعاهد جيرانك »[5]

ولا عجب فى هذا وقد قال المصطفى (ﷺ)

« إن الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح .. عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء . » ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾[6]

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) رواه أحمد .
(٣) رواه بن حبان .
(٤) رواه الترمذى
(٥) رواه مسلم
(٦) رواه الطبرانى

أكرم العرب

ومن هؤلاء الذين يدفع الله بهم البلاء : سعيد بن العاص تلميذ النبى (ﷺ) الذى كان يدخل على جيرانه البهجة والسرور . . فيسعد الحزين . . ويساعد المحتاج . . ويعالج المريض . . ويغيث الملهوف . . ويؤدى دين المدين . . دون أن يجرح شعوراً . . أو يخدش حياء . . فكانوا يطلقون عليه أكرم العرب . . وخير الجيران . .

فما يكاد ينمو إلى علمه : أن أحد جيرانه . . فى حاجة إلى مال أو متاع أو طبيب . . أو إلى شىء من هذا القبيل . . إلا أسرع إليه ولبى نداءه فى خفاء ودون ضجة . . فقد علم أن جاراً له يبيع داره من أجل دين عليه . . فسأل عن حجم هذا الدين . . فقيل له أربعة آلاف درهم . . فأرسل إلى صاحب الدين وقال له : المبلغ علىّ . . وأرسل إلى جاره . . وقال له : لقد أدى الله عنك دينك . . وبارك الله لك فى دارك . .

وذات يوم نزلت بأحد جيرانه نازلة . . فقالت له امرأته . . إن أميرنا سعيد بن العاص رجل صالح كريم . . لا يرد من جاءه أبداً . . فلو أخبرته عن حالك . . لمد إليك يده . . فقال لها : لا تريقى ماء وجهى . . ولا تحمليني ذل السؤال . . فألحت عليه . . حتى ذهب إليه . . ولكنه لم يتكلم حياء وعفة . . فلما انصرف الناس . . وظل الرجل جالساً . . قال له سعيد : ألك حاجة ؟ فسكت الرجل حياء وخجلاً . . فقال سعيد لمن حوله : انصرفوا ثم قال له : لم يبق غيرى . . فتكلم . . ولكنه ظل صامتاً . . فأطفأ سعيد المصباح . . ثم قال له : رحمك الله . . لست ترى وجهى . . فاذكر حاجتك وتكلم . . فقال الرجل : أصلح الله الأمير . . فقد أصابتنا فاقة . . فاستحييت أن أذكرها . . فقال له سعيد : إذا أصبحت فأتنى . . وفى الصباح جاء الرجل وقابله سعيد وأمر له بخير كثير . . وقال له الوكلاء : هيا فأت بمن يحمله لك . . فقال ما عندى ما يحمله . . وذهب إلى امرأته يلومها لوماً شديداً . . ويقول لها : لقد حملتنى على المسألة . . وها هو قد أمر لي بشىء يحتاج إلى من يحمله . . . وما أظنه إلا طعاماً أو شعيراً . . فلو كان مالاً لأعطانيه إياه . . وبينما هو يلوم زوجته . . إذ طرق الباب طارق . . وإذا بالباب ثلاثة غلمان . . قد بعث بهم الأمير سعيد . . يحمل كل واحد منهم على رأسه عشرة آلاف درهم . . وانتظر أن ينصرفوا . . فأخبروه : أن الأمير قد أهدانا لك . . فإنه لم يبعث بهدية إلى أحد . . إلا كان الخادم الذى يحملها من جملتها . . أى : ضمن الهدية .

وذات يوم سأله سائل فأمر له سعيد بمائة ألف درهم . . فبكى الرجل . . فقال له سعيد : ما يبكيك ؟! قال : أبكى أن تأكل الأرض مثلك . . فأمر له بمائة ألف أخرى !!

إلى هذا الحد . . كان سعيد بن العاص . . يكرم جيرانه . . ويرعى حقوقهم عليه . . ويقضى عنهم حاجاتهم . . وهو سعيد بذلك . . يقول لأحد أولاده . . يا بنى : لو جاءك جارك فى حاجة . . وأعطيته كل ما تملك ما كافأته . .

لأجل هذا . . فأكرم جارك وأحسن إليه . . واعلم أن : كل أربعين داراً جار . . من الأمام والخلف واليمين والشمال . . فكل الناس جيران . . وكل الناس إخوان . . وكل الناس صنوان وغير صنوان . . وكل الناس سيان . . وفى أنفسكم أفلا تبصرون .

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(1)

هذا . . واعلم أن : الدم واللحم جاران . واللحم والعظم جاران . . والروح والقلب جاران . . كذلك . . والشفتان جاران . . والأسنان جيران . . والعينان جاران . . والأصابع جيران . . واليدان جاران . . والقدمان جاران . . والحواس جيران . . والجوارح جيران . . إلى آخر هؤلاء الجيران . ونعم الجيران . . والذى لا يصلح البنيان . . إلا إذا كانوا جيران هناء وحنان . . وحب وانسجام . . يعملون وفق نظام . . وضعه من لا ينام . . فلا ينصلح حال الأجسام . . إلا إذا كان هؤلاء الجيران . . جيران إيمان وإحسان . . يرعون حق الجوار . . وإلا كان الدمار . . فليأخذ الإنسان العبرة من هؤلاء الجيران . . فى نفسه . . ويتأمل ماذا يحدث لو أساء واحد من هؤلاء الأعضاء حسن الجوار . . واختل الجسم وأصيب بالدوار . . ووهنت قواه وخار . . واضطرب العقل . . وشط وحار . . لا يعرف ماذا سيحدث . . ولا ما سيكون . . ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

• • •

---

(1) 21 الذاريات .

الجار وإن جار

أوصانا المختار ... بالجار وإن جار
ودعانا أن نرعى ... كل حقوق الجار
فله عهد أمان ... وسلام وجوار
أن نحسن جيرتنا ... فى ليل ونهار
نحفظه إن غاب ... ونصون له الدار
فإذا احتاج لشىء ... والله الستار
لبينا دعوته ... وكفيناه العار
ننحى عن السوء ... ونقيه الأشرار
لا نؤذيه بشىء ... مما يؤذى الجار
من ريح وقتار ... ودخان وغبار
من يحسن للجار ... يصبح فى الأبرار
فالمحسن فى الجنة ... والخائن فى النار

واعلم أن الجار ... توصية المختار
ووصية جبريل ... عن رب غفار
فاعمل ليل نهار ... بوصايا الأخيار
بالعطف على الجار ... فالجار وإن جار
من خلق الإسلام ... وسمات الأبرار[1]

جاء فى الأثر :

* لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه .
* من سعادة المرء . . الجار الصالح . . ومن شقاء المرء . . الجار السوء . .
* الجار قبل الدار . . والرفيق قبل الطريق . .

---

(١) من شعر المؤلف .

من قطوف الحكمة(١) :

* قبل أن تشترى داراً للإقامة . . تخير جاراً ذا كرامة . . وقبل أن تختار طريقاً سهلاً . . تخير رفيقاً أهلاً . . وإلا كان ذلك جهلاً . .

* قبل أن تشترى الدار . . اشتر حسن الجوار . .

أى : قبل أن تنظر إلى حسن الدار . . انظر إلى حسن الجوار . .

* الجار الصالح الذى يحفظ حق الجوار . . يحمي مائة جار . . من العذاب والدمار . . ويشفع لهم إن دخلوا النار . .

* الإحسان إلى الجيران . . من علامات الإيمان . . والإساءة إلى الجيران . . من علامات الكفران . .

* إذا أردت السلامة إلى يوم القيامة . . فعليك بالاستقامة . . ويزيدك استقامة . . ويعينك عليها ثلاثة :

١ - زوجة صالحة . . ذات عفة وأمانة . .

٢ - أخ صالح . . ذو مروءة وشهامة . .

٣ - عمل صالح . . ترجو من الله دوامه .

● ● ●

(٢) من قطوف المؤلف .

صنائع المعـروف

جاء فى الأثر:

*** « اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله . .**

فإن صادف أهله فهو أهله . .

وإن لم يصادف أهله .. فأنت أهله . . » .

*** « صنائع المعروف تقى مصارع السوء » .**

الشهامة والمروءة

يقول تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١) .

يقول الهادى البشير (ﷺ) :

« ليس الإيمان بالتمني .. ولكن ما وقر في القلب .. وصدقه العمل . . »(٢) .

• • •

الشهامة والمروءة فى الإسلام

إن المروءة والشهامة من القيم السامية . . التى نادى بها الإسلام . . ودعا إليها أتباعه . . ونادى بها المصطفى (ﷺ) وهدى إليها أصحابه . . حيث يقول (ﷺ) :

* « الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه »(٣) .

* « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا . . نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة »(٤) .

* « ومن أغاث ملهوفاً . . أغاثه الله فى الدنيا والآخرة »(٥) .

* « ومن مشى فى حاجة أخيه . . كنت له عند الميزان . . فإن رجح . . وإلا شفعت له »(٦) .

* « ولأن أمشى فى حاجة أخى . . خير من اعتكافى فى مسجدى هذا ستين عاماً »(٧) .

• • •

---

(١) ٩ الحشر .
(٢) رواه مسلم وغيره .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه مسلم وغيره .
(٥) رواه الحاكم .
(٦) رواه الطبرانى وغيره .
(٧) رواه أحمد .

نبل وكرم

ولقد كان من نبل وكرم ومروءة وشهامة المسلمين الأوائل من الأنصار . . أن استقبلوا إخوانهم المهاجرين بالحب والترحاب والمروءة والشهامة خير استقبال وفتحوا لهم قلوبهم وبيوتهم . . وقاسموهم أموالهم وأرضهم وديارهم وأهلهم . . وكان الواحد منهم يقول لأخيه المهاجر : هذا مالى أشاطرك إياه . . وهذه دارى أشاطرك إياها . . وهذه أرضى أشاطرك إياها . . وهؤلاء نسائى . . انظر إلى من يعجبك حسنها فأطلقها لك وتتزوجها . .

وبلغ من سخائهم وكرمهم ومروءتهم وشهامتهم وإيثارهم . . أن مدحهم الله تعالى فى قرآن يتلى إلى يوم القيامة . . يقول عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

• • •

الشهامة والمروءة قبل الإسلام

ولقد كانت آخر وصية . . أوصت بها آمنة بنت وهب . . طفلها الصغير محمداً (ﷺ) قبل أن تموت . . أن قالت له : يا محمد كن رجلاً . . يا محمد كن رجلاً . . كن رجلاً . . فعمل محمد (ﷺ) بوصية والدته . . وكان رجلاً عظيماً . . ربى رجالاً عظماء . . وصنع رجالاً شرفاء . . صنع أمة من رجال كرام . . قال الله تعالى فيهم :

﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[2] .

﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾[3] .

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[4] .

---

(١) ٩ الحشر .
(٢) ١٠٨ التوبة .
(٣) ٣٧ النور .
(٤) ٢٣ الأحزاب .

رجال أثنى عليهم رب العزة بقوله :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١) .

• • •

الكرم الطائى

وكان حاتم الطائى من ملوك المروءة والشهامة قبل الإسلام . . فكان من نبله وكرمه ومروءته وشهامته . . أن خرج ذات يوم فى الشهر الحرام . . يطلب شيئاً . . فلما كان بأرض « عنزة » ناداه أسير لهم فى الحبس :

يا أبا سفانة . . يا أبا عدى . . يا حاتم . . أكلنى الإسار والقمل من شدة الحبس وطول المدة . . فقال له حاتم :

ويلك . . ما أنا فى بلاد قومى . . وما معى ما أفتديك به . . ولقد أسأت بى إذ نوهت باسمى . .

ثم ذهب إلى العنزيين . . وساومهم فيه . . واشتراه منهم بألف دينار . . إلا أنه لم يكن معه ما يفتديه به . . فقال لهم : خلوا سبيله . . وسأرسل لكم فى طلب المال . . قالوا له : لن نخلى سبيله حتى تأتى بالمال أولاً . . فقال لهم : خلوا سبيله . . وقيدونى مكانه . . حتى أرسل فى طلب المال . . فخلوا سبيل الرجل . . وقيدوا حاتم مكانه . . حتى جىء بالمال . . فدفعه لهم . . وأطلقوا سراحه . .

إلى هذه الدرجة كانت مروءتهم . . وهؤلاء أجدادنا قبل الإسلام . .

وإلى تلك الدرجة كانت شهامتهم . . وهؤلاء أجدادنا بعد الإسلام . .

فماذا جرى للمروءة والشهامة فى هذه الأيام . .

هذه دعوة للشباب للعودة إلى تاريخهم القديم وسلفهم الصالح . . فلا يتركوا المروءة تبكى ولا الشهامة تذوى حتى لا ينطبق عليهم قول الشاعر الحكيم :

مررت على المروءة وهى تبكى   فقلت : علام تنتحب الفتاة ؟
فقالت : كيف لا أبكى وقومى   جميعاً دون خلق الله ماتوا !؟

• • •

---

(١) ١١٠ آل عمران .

قطوف من السنة

ومن مأثور كلام المصطفى (ﷺ) :

* « إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس . . يفزع الناس إليهم فى حوائجهم . . أولئك الآمنون من عذاب الله »[1] .

ويقول (ﷺ) :

* « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . . من كان فى حاجة أخيه . . كان الله فى حاجته . . ومن فرج عن مسلم كربة . . فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة . . ومن ستر مسلماً . . ستره الله يوم القيامة »[2] .

ويقول (ﷺ) :

* « إذا كان أمراؤكم خياركم . . وأغنياؤكم سمحاءكم . . وأموركم شورى بينكم . . فظهر الأرض خير لكم من بطنها . .

وإذا كان أمراؤكم شراركم . . وأغنياؤكم بخلاءكم . . وأموركم إلى نسائكم . . فبطن الأرض خير لكم من ظهرها »[3] .

وجاء فى الأثر الكريم :

* « من مشى مع أخيه فى حاجة . . حتى يقضيها له . . ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام »[4] .

* « ما أدخل رجل على مؤمن سروراً إلا خلق الله عز وجل من هذا السرور ملكاً يعبد الله عز وجل ويوحده . . فإذا صار العبد فى قبره . . أتاه ذلك السرور . . فيقول : أما تعرفنى ؟

فيقول له : من أنت ؟

فيقول : أنا السرور الذى أدخلتنى على فلان . . أنا اليوم أؤنس وحشتك . . وألقنك حجتك . . وأثبتك بالقول الثابت . . وأشهدك مشاهدك يوم القيامة . . وأشفع لك إلى ربك . . وأريك منزلك فى الجنة »[5] .

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه الأصبهانى .
(٥) رواه أبو الشيخ ابن حبان .

ويقول (ﷺ) :

* « الجنة دار الأسخياء »[1] .

ويقول (ﷺ) :

* « إن فى الجنة بيتاً يقال له : بيت السخاء »[2] .

ويقول (ﷺ) :

* « تجافوا عن ذنب السخى . . فإن الله آخذ بيديه كلما عثر »[3] .

ويقول (ﷺ) :

* « إن الله بعث حبيبى جبريل عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام فقال :

يا إبراهيم . . إنى لم أتخذك خليلاً على أنك أعبد عبادى لى . . ولكن أطلعت على قلوب المؤمنين . . فلم أجد قلباً أسخى من قلبك » .

ويقول (ﷺ) :

* « كان إبراهيم عليه السلام يُضيِّف الناس فخرج يوماً يلتمس أحداً يضيفه فلم يجد . . فرجع إلى داره فوجد رجلاً قائماً فيها ..فقال :

يا عبد الله من أدخلك دارى بغير إذنى ؟

فقال :

دخلتها بإذن ربها .

قال : ومن أنت ؟

قال :

أنا ملك الموت .

أرسلنى ربى إلى عبد من عباده . . أبشره بأن الله قد اتخذه خليلاً

قال :

من هو ؟

فوالله إن أخبرتنى به . . لآتينه . . ولو كان بأقصى البلاد ثم لا أبرح له جاراً .

حتى يفرق بيننا الموت .

---

(١) رواه الطبرانى .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه الأصبهانى .

قال :

ذلك العبد أنت .

قال :

أنا .

قال :

نعم . .

قال :

فيم اتخذنى ربى خليلاً ؟

قال :

إنك تعطى الناس ولا تسألهم »[1] .

* * *

وقد جاء فى الأثر :

* أولى الناس بالنوال . . أزهدهم فى السؤال .

* ازهد فيما عند الناس . . يحبك الناس .

* اطمع فيما عند الله . . يحبك الله .

● ● ●

صنائع المعروف

يقول تعالى :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[2] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[3] .

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾[4] .

---

(1) رواه ابن أبى حاتم عن عبيد الله بن عمير .

(2) ١٩٩ الأعراف .

(3) ١٢٨ النحل .

(4) ٦٣ الفرقان .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

« اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله . . فإن صادف أهله . . فهو أهله . . وإن لم يصادف أهله . . فأنت أهله »[1] .

« أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك . . ولا تخن من خانك »[2] .

« من نصر مسلماً نصره الله فى الدنيا والآخرة . . ومن خذل مسلماً . . خذله الله فى الدنيا والآخرة »[3] .

وجاء فى الأثر :

* « أفضل المعروف . . إغاثة الملهوف » .

* « كل إناء ينزح ما فيه » .

* « صنائع المعروف . . تقى مصارع السوء » .

* « اتق شر من أحسنت إليه » .

وكثيراً ما نسمع على ألسنة العامة . . « اعمل خيراً وارمه البحر » وذلك كناية عن الخير الذى سوف تصنعه . . إن ضاع عند الناس لن يضيع عند الله . . وذلك شريطة أن يكون لله تعالى . . فمن فعل للناس . . فليأخذ أجره منهم . . ولا أجر له عند الله . . ومن فعل ما يفعله لله تعالى . . فسوف ينال أجره مرتين . . مرة فى الدنيا ومرة فى الآخرة . . ومن هنا جاءت الحكمة الكريمة :

« اتق شر من أحسنت إليه » وهى قول مأثور لعمرو بن العاص (رضي الله عنه) . .

أى : اتق شر من أحسنت إليه هو . . دون أن تقصد وجه الله فيه . . أى : من عملت له العمل لا تقصد به وجه الله تعالى . . وإنما فعلت ما فعلته لكى ترضيه أو يثنى عليك . . أو يذيع عنك إنك من أهل الخير . . إلخ .

---

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه أحمد وغيره .

(٣) رواه أبو داود .

فهذا الذى فعلته . . قصدت به وجه الناس . . فسوف ينقلب عليك شره . . أما إذا كان لوجه الله تعالى . . فسوف يعود عليك خيره . . إن شاء الله تعالى . .

« فاتق شر من أحسنت إليه » و « انتظر خير من أحسنت إلى الله فيه » . .

هذا . . ولا تبخل بخير على أحد من الناس . . سواء كان من أهل المعروف أو غير ذلك . . كما أمرك رسول الله (ﷺ) :

« اصنع المعروف فى أهله . . وفى غير أهله . . فإن صادف أهله . . فهو أهله . . وإن لم يصادف أهله . . فأنت أهله » .

فإن المروءة والشهامة والمعروف والخير . . كل هذه المبادئ الإسلامية الكريمة التى حث عليها الإسلام . . ودعا إليها أتباعه . . إنما دعا إليها . . لأن النفوس تحيا بها . . وترقى عليها . . إلى معارج الهدى . . ومدارج الندى . . فتصنع قلوباً لا قوالب . . قلوباً لا مقالب . . قلوباً تسع الدنيا وما عليها . . قلوباً تهدى ولا تضل . . قلوباً تحيى ولا تميت . . قلوباً تجمع ولا تفرق . . قلوباً تنير ولا تظلم . . قلوباً تكرم ولا تهين . . قلوباً تعمل ولا تكل . . تعز ولا تذل . . تحب ولا تكره .

هـذا . .

ولقد كان لأحد أشراف العرب فرس مشهور بالقوة والجمال . . والخفة والدلال . . وكان مضرب الأمثال فى السرعة والإجابة . . والحسن والنجابة . .

وذات يوم . . امتطى الفارس العربى المغوار . . جواده فى الصحراء . . فى رحلة صيد . . ذات مساء . . وبينما هو يصطاد إذ سمع بكاءاً وأنيناً . . فاتجه نحو الصوت . . ونظر فرأى شيخاً كسيحاً طريحاً على الأرض . . فاقترب منه . . وقال : السلام عليكم ورحمة الله . . قال : عليكم السلام .

قال له : ما الذى جاء بك إلى هنا ؟!

قال : كنت مع قافلتى فنزلت لقضاء حاجتى . . فرحلوا وتركونى . .

فقال له : من أى قبيلة أنت ؟

قال : من قبيلة كذا . .

فقال له : وجب على أن أحملك معى . .

قال له : كيف ذلك وأنا لا أقوى على الحركة ؟

قال له : أنزل وتركب معى . .

قال له : أنى لمثلى أن يرتقى صهوة جوادك ؟!

قال له : أنزل وأحملك . . فنزل الفارس وحمله ووضعه على صهوة الجواد . .

وما إن استوى الرجل الكسيح على الفرس . . حتى تحول إلى فارس مغوار . . لا يشق له غبار . . فأطلق العنان للفرس . . وولى الأدبار وطار . . وترك الفارس يلهث خلفه . . يصرخ وينادى . .

فقال له الرجل المخادع : لا تجهد نفسك . . لن تدركنى . .

فقال له : أنا لا أريد الفرس . . فعندى مزرعة من الخيول . .

قال له : إذن ماذا تريد ؟

قال له : أريد شيئاً واحداً . .

قال له : وما هو ؟

قال : لا تذكر هذا أمام الناس .

قال : لماذا ؟

قال : حتى لا يمتنعوا عن فعل المعروف . .

وهنا نزل الرجل من على الفرس وهو يبكى . . وقال له :

أعاهدك على فعل المعروف . . وتبت على يديك لله رب العالمين . . فلقد أعطيتنى درساً لن أنساه ما دمت حياً . .

انظر إلى هذا المعروف . . وتأمل هذا الموقف :

لقد أراد الفارس أن يقول له : لا تشمت أعداء الله فى دين الله . . لا تشمت أهل المنكر فى أهل المعروف . . لا تشمت أهل الشر فى أهل الخير . . لا تشمت أهل الكفر فى أهل الإيمان . .

انظر إلى المعروف والمروءة والشهامة . . كيف صنعت رجلاً . . وهدت رجلاً . . ولأن يهدى الله بك رجلاً واحداً . . خير لك من الدنيا وما فيها . .

فاصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله . . فإن صادف أهله فهو أهله . . وإن لم يصادف أهله . . فأنت أهله . .

• • •

قطوف من أزهار السنة

من بساتين السنة يقول المصطفى (ﷺ) :

* « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . . ومن يسر على معسر فى الدنيا . . يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . . ومن ستر على مسلم فى الدنيا . . ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة . . والله فى عون العبد . . ما دام العبد فى عون أخيه »[1] .

ويقول (ﷺ) :

* « على كل مسلم صدقة . . .

قيل : أرأيت إن لم يجد ؟

قال : يعتمل بيديه . . فينفع نفسه ويتصدق .

قال : أرأيت إن لم يستطع ؟

قال : يعين ذا الحاجة الملهوف .

قال : أرأيت إن لم يستطع ؟

قال : يأمر بالمعروف أو الخير .

قال : أرأيت إن لم يفعل ؟

قال : يمسك عن الشر . . فإنها صدقة »[2] .

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة (رضي الله عنه) .

(٢) متفق عليه عن أبى موسى الأشعرى (رضي الله عنه) .

ويقول (ﷺ) :

* « ما من عبد أنعم الله عليه نعمة . . فأسبغها عليه . . ثم جعل من حوائج الناس إليه . . فتبرم . . فقد عرض تلك النعمة للزوال »[1] .

جاء فى الأثر :

* « من مشى مع أخيه فى حاجته ثبت الله قدميه على الصراط » .

* « إن لله خلقاً خلقهم لقضاء حوائج ا لناس » .

* «إن حاجة الناس إليكم من نعم الله عليكم . . فلا تملوا النعم فتنقلب عليكم نقماً» .

* « إذا عظمت نعم الله على عبد . . اشتدت إليه حوائج الناس » .

* « لا يزال الله فى حاجة العبد . . ما دام العبد فى حاجة أخيه » .

ويقولون :

* الكريم لا يضام .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

* « ارحموا عزيز قوم ذل .

وغنياً افتقر .

وعالماً ضاع بين الجهال » .

• • •

وأحسن كما أحسن الله إليك

يقول تعالى :

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[2] .

﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[3] .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

---

(١) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

(٢) ٣٤ فصلت .

(٣) ٧٧ القصص .

* « اصنع المعروف فى أهله . . وفى غير أهله . . فإن صادف أهله . . فهو أهله . . وإن لم يصادف أهله . . فأنت أهله . . »[1] .

* « أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك »[2] .

* « الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه »[3] .

* « من نصر مسلماً نصره الله فى الدنيا والآخرة . . ومن خذل مسلماً خذله الله فى الدنيا والآخرة »[4] .

• • •

اصنع المعروف

إن المروءة والشهامة والمعروف . . هذه القيم جميعاً . . تصنع الرجال . . وتهدى الأجيال . . إلى مدارج الكمال . . سواء كان هؤلاء يستحقون هذا المعروف . . وهذه الشهامة وتلك المروءة . . أم لا ؟ فإن هناك من يحجمون عن صنع المعروف . . فيمن لا يستحقون . . فهل يجوز ترك المعروف إذا لم يوجد من يستحقه ؟ كلا . .

إن النبى المصطفى (ﷺ) يرسلها مدوية فى سمع الزمان . . ناصحاً إياك وموجهاً لك . . من خلال أمته :

« اصنع المعروف فى أهله . . وفى غير أهله . . فإن صادف أهله فهو أهله . . وإن لم يصادف أهله . . فأنت أهله » .

فإن المعروف يزرع فى كل أرض . . وإن الخير يبذل فى كل مكان . . لا تنظر مع من ؟ ولا لمن سيكون ؟ كلا وإنما لكل نفس تنبض بالحياة . . حتى تستمر الحياة وتزدهر . . وتعم المحبة وتنتشر . . ويتحقق فينا قول ربنا عز وجل : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ . .

• • •

---

(١) رواه مسلم وغيره .
(٢) رواه أحمد وغيره .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه أبو داود

شهامة ومروءة جندى(*)

هـذا . .

وذات يوم حدثت مشادة على الكورنيش بين امرأة شابة وجندى من جنود الأمن . . وكانت المرأة تدلل طفلتها على سور كوبرى قصر النيل . . فجاء الجندى ومنعها خوفاً على الطفلة أن تسقط من يدها . . ولكنها أصرت على ذلك . . ولم تكتف بهذا . . بل انهالت عليه بكل ألوان الشتائم والسباب . . فتركها الجندى وانصرف بأدب وحياء . .

وفى أثناء عودته سمع صراخاً واستغاثات . . فنظر فوجد المرأة إياها . . وقد انهارت تبكى . . وتلطم وجهها . . فقد سقطت طفلتها فى النيل . . وحدث ما توقعه الجندى . . ولكن الجندى نسى كل ما حدث منها . . وألقى بنفسه فى النيل . . وغاص تحت الماء . . أمام جموع المارين والواقفين فى انتظار المقدور . . ولم تمر إلا دقائق معدودة . . حتى ظهر الجندى على سطح الماء . . يحمل على كتفه الطفلة الصغيرة . . يسبح بها وسط أمواج النيل المتلاطم . . حتى وصل إلى الشاطئ . . بين صياح الجمهور . . وصفيق الحاضرين . . وتقبيلهم له . . وإعجابهم به . . ودعائهم له . . وبكاء الأم التى احتضنت طفلتها احتضانة الأمل بالميلاد الجديد . . فقد كتب الله لها عمراً جديداً . . وسط بكاء المواطنين . . وقامت إلى الجندى تقبله وتعتذر له . . وتقدم له كل مصوغاتها مكافأة له . . فيأبى الجندى بشمم وكبرياء . . ويرفض المكافآت السخية التى قدمها إليه كثير من الأثرياء الحاضرين لشهامته ومروءته . . وينصرف الجندى إلى عمله راشداً . . وهم يحملونه على أكتافهم . . كما يحملون العظماء والقادة المنتصرين الظافرين .

إن الشهامة كرامة . . وعزة وسلامة . . فى الدنيا والآخرة . . كرامة فى الدنيا . . وعزة وسلامة يوم القيامة . .

أما كرامة الدنيا :

فإن الله تعالى لا يخزيه أبداً . . بل يغدق عليه من كرمه . . ويمده بأسبابه . . فلا ينال منه أحد . . ولا يجير عليه شىء . . فالكريم لا يضام . . لأن كرمه يحيطه بسياج من فولاذ . . لا يستطيع شىء اختراقه . . وكيف يستطيع شىء اختراقه . . وقد تحصن بالكرم . . الذى يصد غوائل الزمان . . وتقلب الحدثان . . وما يضيق به الإنس والجان . .

(*) هذا الجندى من صعيد مصر الأبطال .

فيعيش عزيزاً لا يرام . . ويموت عزيزاً لا يهان . . يبكى عليه البعيد والقريب . . والصغير والكبير . . واليتامى والأيامى . . والرجال والنساء . . والبنات والشباب . . والفقراء والمساكين . . والشجر والحجر . . والحيوان والطير . . والشمس والقمر . . والأرض والسماء . . والملائكة الكرام . . فى دار السلام . . ويصلون عليه كل آن . .

وأما سلامة الآخرة :

فإن الله تعالى يأمر جنته بأن تتزين لاستقباله . . ويأمر ملائكته بأن تتجهز لاحتماله . . إلى السموات العلا . . تستقبله سماء بعد سماء . . كلما طويت سماء . . تستقبله أخرى بملائكتها وآلائها . . وتزفه إلى دار الخلد . . بالمسك والريحان . . والكافور والزعفران . . والحور والولدان . . إلى ما شاء من الجنان . . دار السلام . . وجنة رضوان . . وجنات النعيم والمأوى . . وعدن ودار المقامة . . والفردوس الأعلى مكان . .

إلى ما لا عين رأت . . ولا أذن سمعت . . ولا خطر على قلب بشر . .

هذا جزاء المعروف فى الدنيا والآخرة . . وأجر الشهامة والمروءة فى الدارين . كرامة وعزة وسلامة .

من قطوف الحكمة النبوية :

* « مكارم الأخلاق من أعمال الجنة »(١) .
* « المؤمن غِرٌ كريم . . والفاجر خَبٌّ لئيم »(٢)
* « السخاء خلق الله الأعظم »(٣) .

وجاء في الأثر :

* « أفضل الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم » .

١ - تكشف عنه كربة . .

٢ - أو تطرد عنه جزعًا . . أى : حزناً أو ألماً . .

٣ - أو تقضي عنه دينًا »(٤) .

---

(١) رواه الطبراني .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) راه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب .
(٤) رواه أبو الشيخ ابن حبان .

* « أفضل الأعمال : إدخال السرور على المؤمن :

١ - كسوت عورته .

٢ - أو أشبعت جوعته .

٣ - أو قضيت حاجته »[١] .

* « أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم »[٢] .

* « أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس »[٣] .

● ● ●

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الأصبهاني .

العمل عبادة

مفردات إسلامية قام عليها الإسلام :

* الدين المعاملة ..
* إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ..
* العمل عبادة ..
* تاجر الرحمن ..
* التجارة الرابحة مع الله تعالى ..
* ثمرة العمل والعاملين في ظل دعوته السمحاء ..
* التاجر الصدوق ..

الدين المعاملة
« وقل اعملوا »

يقول تعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

* « لا تسأل الناس شيئاً أعطوك أو منعوك »[2] .

* « من بات كالاً من عمله بات مغفوراً له »[3] .

* « أعطوا الأجير أجره . . قبل أن يجف عرقه »[4] .

* « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده . . وإن نبى الله داود (عليه السلام) كان يأكل من عمل يده »[5] .

ويقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) :

* « يقابلنى الرجل فيعجبنى سمته . . وتعجبنى هيئته . . فأسأل عن عمله . . فإن قيل لى بلا عمل . . سقط من نظرى . . »

ويقولون :

* « من جد وجد . . ومن زرع حصد » .

* « من لم يجد له عملاً أوجد له الشيطان عملاً » .

* « من لم يشغل نفسه بالحق . . شغلته نفسه بالباطل » .

● ● ●

---

(١) ١٠٥ التوبة .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه الطبرانى وغيره .
(٥) متفق عليه .

أيها العمال

أيها العمال أفنوا العمر كداً واكتسابا
واعمروا الأرض فلولا سعيكم أمست خرابا
واتقنوا يحببكم الله ويرفعكم جنابا
إن للمتقن عند الله والناس ثوابا
واذكروا الأنصار بالأمس ولا تنسوا الصحابا
أيها الغادون كالنحل ارتياداً وطلابا
فى بكور الطير للرزق مجيئاً وذهابا
اطلبوا الحق برفق واجعلوا الواجب دابا
واستقيموا يفتح الله لكم باباً فبابا
إنما العاقل من يجعل للدهر حسابا
واذكروا يوم مشيب فيه تبكون الشبابا[1]

● ● ●

يد يحبها الله ورسوله

وذات يوم خرج المصطفى (ﷺ) إلى طائفة من العمال.. فصافحهم واحداً واحداً.. إلا واحداً أبى أن يضع يده فى يد المصطفى (ﷺ) فلما سأله النبى (ﷺ) عن سر ذلك؟ قال: يا رسول الله إن بيدى بعض الشقوق.. وبعض الحروق.. من أثر العمل.. وإنى لأستحى أن أضع يدى فى يدك.. فتؤذيك يا رسول الله.. فجذبها المصطفى (ﷺ) وقبلها تكريماً للعمل والعاملين.. وقال له: هذه يد يحبها الله ورسوله.. ثم قال (ﷺ): من بات كالاً من عمله.. بات مغفوراً له.. فخذ من شبابك لهرمك.. وخذ من صحتك لمرضك.. وخذ من غناك لفقرك.. وخذ من فراغك لشغلك.. وخذ من حياتك لموتك.

وذلك قوله (ﷺ): «اغتنم خمساً قبل خمس:

١ - شبابك قبل هرمك.   ٢ - صحتك قبل مرضك.
٣ - غناك قبل فقرك.   ٤ - فراغك قبل شغلك.
٥ - حياتك قبل موتك..»[2].

---

(١) من ديوان أمير الشعراء أحمد شوقى الجزء الأول ٩٠/ ٩١.
(٢) رواه الترمذى وغيره.

السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة

أما بعد . .

فبادئ ذى بدء :

* « إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة »[1] .

ولن يتأتى الذهب والفضة . . إلا بالهمة والنشاط . . والعمل والحركة . . والحركة بركة . . وإن الناس يميلون إلى الأغنياء دون الفقراء . . وهذا طبعهم منذ خلق الله السموات والأرض . . فالناس قد جبلوا على حب من أحسن إليهم . . وبغض من أساء إليهم . . .

يقول الهادى البشير (ﷺ) :

* « جُبلت النفس على حب من أحسن إليها . . وبغض من أساء إليها . . »[2] .

ولن تكون النفس محسنة . . إلا بالهمة والنشاط والعمل والحركة . . والحركة بركة . .

ويقول (ﷺ) :

* « اليد العليا . . خير من اليد السفلى . . »[3] .

ولن تكون اليد عليا . . إلا بالهمة والنشاط والعمل والحركة . . والحركة بركة . .

ويقول (ﷺ) :

* « المؤمن القوى . . خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . . »[4] .

ولن يكون المؤمن قوياً . . إلا بالهمة والنشاط والعمل والحركة . . والحركة بركة . .

لهذا . . فإن الناس يميلون إلى الأغنياء دون الفقراء . . ولن تكون غنياً . . إلا بالهمة والنشاط والعمل والحركة . . والحركة بركة .

---

(١) من كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .
(٢) رواه الترمذى وغيره .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

فاحرص أن تكون غنياً قوياً معطاءً . . حتى لا يميل الناس عنك :

فــإن النــاس قــد مــالوا إلى من عنـده مـــالُ
ومــن لا عنـده مـــالٌ فــعنه الناس قــد مــالوا
وإن النــاس منفــضـة إلى من عنده فــضـة
ومــن لا عنـده فــضـة فــعنه الناس منفــضـة
وإن النــاس قــد ذهبــوا إلــى مــن عـنـده ذهــب
ومــن لا عـنـده ذهــب فــعنه الناس قــد ذهبــوا

هـذا :

وقد سئل أحد الصالحين . . لماذا تجمع المال وأنت من الزاهدين ؟

قال :

* لأصون به العرض .

* وأحمى به الأرض .

* وأؤدى به الفرض .

* وأستغنى به عن القرض .

فالناس صنفان . . نوع يحبك إن كنت غنياً . . ونوع يكرهك إن كنت فقيراً . .

نوع يوقــرك إن زاد مــالك . . ونوع يحــقـرك إن قل مــالك . . فـهناك صــديق مال . . وهناك عدو مال . . ولهذا قال الشاعر : سأحرص دائماً أن أكون غنياً سخياً حتى يحبنى هذا . . ولا يكرهنى ذاك . .

إن قـل مـالى فلا أحـد يصاحبنـى وإن زاد مـالى فكل النـاس خلانى
فكم من عدولأجل المال صاحبنـى وكـم من حبيب لأجل المال عادانى

هذا . . وإن لكل شيء سياجاً يحفظه ويحميه . . وإن سياج المال . . العلم والعمل والأخــلاق . .

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهمو لم يبن ملك على جهل وإقلال

فلن تسعوا الناس بأموالكم . . فسعوهم بأخلاقكم . .

● ● ●

العمل عبادة

العمل عبادة . . وهو الحسنى وزيادة . .

* يؤكد هذا المعنى ما ورد أن بعض الصحابة سألوا رسول الله (ﷺ) عن رجل يمكث بالمسجد ولا يبرحه صباحاً ولا مساءاً . . يصوم ويقوم . . ويتعبد ويتهجد . . وظن الصحابة (رضى الله عنهم) أن النبى (ﷺ) سيقول لهم : إنه من أهل الجنة . . أو إنه فى الدرجات العلا . . أو إنه فى الفردوس الأعلى . . ولكن النبى (ﷺ) سألهم : من يطعمه ؟ . . قالوا : كلنا يا رسول الله . . قال : (ﷺ) : « كلكم خير منه » .

* وذات يوم سأله سائل عن رجل آخر يمكث بالمسجد ولا يبرحه أبداً . . يصلى ويصوم . . ويسبح ويقوم . . فقال له النبى (ﷺ) من يطعمه ؟ قال الرجل : أخوه يا رسول الله . قال (ﷺ) : أخوه أعبد منه . .

* وقد سئل ابن عباس (رضى الله عنهما) عن تفسير قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(١) .

قال : أى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعملون . . فالعمل عبادة . .

وصدق الله العظيم :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾(٢) .

* وذات يوم جاء سائل إلى النبى (ﷺ) يسأله شيئاً من متاع الدنيا . . فنظر إليه النبى (ﷺ) فوجده شاباً جلداً قوياً فتيًا . . قادراً على العمل . . فأسف عليه النبى (ﷺ) وقد أراد أن يأخذ بيده من عالم البطالة والمذلة . . إلى العمل والعزة . . فقال له : هل عندك شىء ؟ أى : زائد عن حاجتك . . فقال عندى (حلث) غطاء وإناء . . قال : فأتنى بهما . . فأحضرهما للنبى (ﷺ) وباعهما له واشترى بهما قدوماً . . وأعطاه إياه . . وقال له : اذهب واحتطب . . ولا أرينك خمسة عشر يوماً فإن ذلك خير لك من أن تأتى المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة . .

---

(١) ٥٦ الذاريات .

(٢) ١٠٥ التوبة .

لأن المسألة والبطالة نكتة سوداء فى جبين السائل يوم القيامة يعرف بها أمام الناس . . يوم الحشر الأعظم . . فيعرف أن هذا كان يمد يده . . ويعيش عالة على الآخرين . . فاحرص أن تكون عزيزاً كريماً . . تأكل من عرق جبينك . . وكد يمينك . .

وتأمل معى ما فعله النبى (ﷺ) . . الذى أمره الله تعالى أن يعمل وأن يأمر عباده بالعمل . .

فلو كان دين محمد دين كسل وتخاذل لقال للسائل : اجلس معنا هنا وصل وصم والله يرزقنا جميعاً . . أو قال له : دعها لله . . فالله يرزق من يشاء بغير حساب . . أو . . أو . .

ولكن دين محمد (ﷺ) دين إيمان وعمل . . يقدر العاملين . . ويقدر العمل . . اذهب واحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوماً . . فذهب الرجل وأصبح تجاراً . . وجاء للنبى (ﷺ) بمال قد اكتسبه . . فأمره النبى (ﷺ) أن يشترى وأن يبيع وأن يتصدق . . حتى صار الرجل نافعاً لنفسه وأمته . . فخير الناس أنفعهم للناس . . واستطاع النبى (ﷺ) أن يحوله من أهل الذل والهوان . . إلى أهل العمل والإيمان . . بالعمل والنشاط . . والهمة والحركة . .

وصدق الله العظيم :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

وصدق رسولنا الكريم (ﷺ) :

* « من بات كالاً من عمله . . بات مغفوراً له »[2] .

* « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده . . وإن نبى الله داود (عليه السلام) كان يأكل من عمل يده »[3] .

* « لا تسأل الناس شيئاً أعطوك أو منعوك »[4] .

* « من غشنا ليس منا »[5] .

ويقولون :

* « من جد وجد . . ومن زرع حصد » .

---

(١) ١٠٥ التوبة . (٢) متفق عليه . (٣) متفق عليه .

(٤) رواه الطبرانى . (٥) رواه أحمد .

تاجر الرحمن

يقول تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾(١) .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

* « تسعة أعشار الرزق فى التجارة »(٢) .

* « التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا »(٣) .

* « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه »(٤) .

ويقول على (كرم الله وجهه) :

* « الغنى فى الغربة وطن . . والفقر فى الوطن غربة . . » .

ولقد كان عبد الرحمن بن عوف أغنى أغنياء المسلمين . . لكنه عندما هاجر من مكة إلى المدينة . . لم يكن يملك درهماً ولا ديناراً . . فقد هاجر خاوى الوفاض . . فقد ترك أهله وترك ماله . . من أجل الله ورسوله . . وآخى المصطفى (ﷺ) بينه وبين سيدنا سعد بن الربيع . . فقال له سيدنا سعد :

يا عبد الرحمن . . هذا مالى أشاطرك إياه . . وهذه دارى أشاطرك إياها . . وهذه أرضى أشاطرك إياها . . وهؤلاء نسائى . . انظر إلى من يعجبك حسنها فأطلقها لك وتتزوجها . .

فماذا فعل عبد الرحمن بن عوف ؟!

هل استغل سخاء وكرم الأنصارى ؟!

هل استغل جود وشهامة سعد ؟!

هل قابل سخاء الأنصارى بالجشع ؟!

---

(١) ٣٠ الكهف .
(٢) رواه مسلم وغيره .
(٣) رواه مسلم وغيره .
(٤) رواه أحمد .

هل قابل جود الأنصارى بالطمع ؟!

كلا . . وإنما قابل هذا السخاء كله بالكفاف . . وطلب الغنى بالعفاف . . ولم يقبل أن يكون عالة على أحد . .

وقال له بعفة وحياء : بارك الله لك فى أهلك ومالك . . ولكن دلنى على السوق . . فلقد دعا لى رسول الله (ﷺ) وقال : اللهم بارك لعبد الرحمن بن عوف فى صفقة يمينه . . فوالله لو اتجرت فى التراب لقلبه الله فى يدى ذهباً . . فلقد كان عبد الرحمن بن عوف رجلاً مباركاً . . حتى كان الصحابة (رضوان الله عليهم) يقولون :

لقد ظننا أن عبد الرحمن بن عوف لو رفع حجراً لوجد تحته ذهباً . . لبركة دعاء النبى (ﷺ) له . .

• • •

ثمرة العمل فى الإسلام

وخرج عبد الرحمن بن عوف إلى السوق وباع واشترى . . ولم يقبل أن يكون عالة على أحد . . وكان معه أربعة دراهم هى كل ما أفاء الله عليه . . فاشترى بها (جبناً) ولم يكد يشتريها حتى قابله رجل فاشتراها منه بأربعين درهماً . . فتزوج فى هذا اليوم . . واشترى داراً فى أول صفقة له . . وظل عبد الرحمن بن عوف يبيع ويشترى . . حتى أصبح أغنى أغنياء المسلمين . . وكان عنده من المال والذهب . . ما يقطع بالفؤوس . . حتى إن إحدى نسائه الأربع . . صولحت فى ميراثها . . وهو ربع الثمن بمليون دينار . . فأبت . .

وعبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة . . وعندما اتسعت أملاكه . . وازدادت أرزاقه . . خاف الصحابة (رضوان الله عليهم) عليه من المال . . فذهب إليه وفد من الصحابة وقالوا له : يا عبد الرحمن : إنا نخشى عليك من المال . . لقد زاد مالك وفاض . . وأنت الصحابى الجليل . . والإمام الدليل . . فقال لهم :

تخافون علىّ المال . . فماذا أفعل فى مالى . . وما أنفقت ديناراً فى الصباح . . إلا وجاءنى مائة بالليل . .

لقد كان عبد الرحمن بن عوف يملك هذا المال . . ومع هذا المال كله . . كان أزهد الزاهدين . . لأن ماله كان في يده . . ولم يكن في قلبه . . لأنه من كان ماله في يده فهو ينفقه . . ومن كان ماله في قلبه فهو يعبده . . فليس الزاهد من لا مال عنده . . وإنما الزاهد من لا يملك المال قلبه . . فقد وضع نصب عينيه قول المصطفى (ﷺ) له :

« يا عبد الرحمن إنك من الأغنياء . . وإنك ستدخل الجنة حبواً . . فأقرض الله يطلق قدميك » . .

هذه دعوة للشباب للعمل والحركة والهمة والنشاط . . وأن يأخذ من شبابه لهرمه . . ومن صحته لمرضه . . ومن غناه لفقره . . ومن فراغه لشغله . . ومن حياته لموته . . وليعلم أن العمل عبادة . . وأن الحركة بركة .

وأُحَذِّرُ كل شاب من الكسل والخمول . . ومن الفراغ والفضول . . لأن الفراغ أساس كل رذيلة . . والحركة والعمل أساس كل فضيلة . .

ولقد كانوا قديماً يعيرون الرجل بالخمول والكسل . . كما يعيرونه بالذنب . . وكانوا يعيرونه ببطنه . . كما يعيرونه بالفشل . . .

وذات يوم قال الحطيئة بيتاً من الشعر يُعَيِّرُ به رجلاً . . فشكاه إلى عمر بن الخطاب . . فنفاه أمير المؤمنين (رضي الله عنه) من أجل هذا البيت . . لأنه عده استخفافاً وتهكماً بالرجل . .

قال الحطيئة في هذا البيت :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

فلم يجد الحطيئة ما يعير به الرجل إلا الكسل . . وقعوده عن العمل . . فليحذر الشباب :

الكسل . . والقعود عن العمل . . حتى يتجنب الضياع والفشل . . وما عليه إلا الاجتهاد في العمل . . ليتحقق له إن شاء الله الأمل !!

وهكذا . . يضرب عبد الرحمن بن عوف . . القدوة والمثل . . لمن أراد أن يصل . . القدوة والمثل . . لمن أراد أن يشق طريقه لكى يصل . .

فلقد سماه رسول الله (ﷺ) : بالأمين . . حيث قال :

« عبد الرحمن بن عوف أمين في الأرض وأمين في السماء » .

وكيف لا . . وهو تاجر الرحمن . .

وأى فخر أن يضاف اسمه إلى لفظ الجلالة . . أو أن يضاف لفظ الجلالة إليه . .

وأى مجد وصولجان . . وأى عز وسلطان . . أن يقرن اسم إنسان . . مهما كان ، باسم الرحمن . .

جاء فى الأثر :

* « عبد الرحمن بن عوف تاجر الرحمن » .

* « عبد الرحمن بن عوف أمين فى الأرض وأمين فى السماء » .

* « يا عبد الرحمن . . إنك من الأغنياء . . وإنك ستدخل الجنة حبواً . . فأقرض الله يطلق قدميك » .

* « عبد الرحمن بن عوف فى الجنة » .

* « الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر » .

ويقولون :

* « الغنىُّ مع الفقير فى كبد : إذا منعه حسد . . وإذا أعطاه حقد . . » .

قلت :

* « فليصبر وليجتهد » .

• • •

التاجر الصدوق

يقول تعالى :

﴿ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[1] .

ويقول جل وعلا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

---

(١) ١١ الجمعة . (٢) ١٠-١٣ الصف .

ويقول عز وجل :

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(1) .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

* « التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً »(2) .

* « تسعة أعشار الرزق فى التجارة »(3)

* « من غشنا ليس منا »(4) .

هذا .

ولقد كان أبو حنيفة النعمان (رضي الله عنه) يعمل بالتجارة ولا سيما تجارة الثياب . . وذات يوم جاءته مجموعة من الثياب . . فقلَّبها فوجد بها ثوباً به ثقوب . . وبعض العيوب . . فأبعده بعيداً حتى لا يباع وسط الثياب . . إلا أن يصلحه أو أن يظهره للمشترى . . حتى لا يغش الناس . .

وأذن المؤذن لصلاة العصر . . فترك أبو حنيفة متجره والغلام . . وذهب إلى الصلاة . . فلما قضيت الصلاة . . وعاد أبو حنيفة . . قابله الغلام مغتبطاً مسروراً . . وقال : يا إمام . .

لقد بعت الثوب الذى أبعدته عن الثياب . .

فحزن أبو حنيفة . . وقال له :

لم يا غلام ؟ كيف يا غلام ؟ هيا أدرك المشترى واستأذنه أن يأتى لمقابلتى لأمر هام . .

فانطلق الغلام مسرعاً حتى أدرك المشترى . . وعاد به إلى أبى حنيفة (رضي الله عنه) . . فاستقبله أبو حنيفة أحسن استقبال . . وصافحه بأدب جم . . وقال له :

---

(1) ٣٧ - ٣٨ النور .

(2) رواه مسلم وغيره .

(3) رواه مسلم وغيره .

(4) رواه أحمد .

إن فى الثوب الذى اشتريته عيباً لا يعرفه الغلام . . وأظنه لم ينبهك إليه . . وهذا هو عيب الثوب . . وأشار إليه . . وإنى لأعتذر إليك نيابة عنى وعن الغلام من هذا الخطأ الذى جاء عن غير قصد . . وأترك لك حرية الاختيار . . فإن شئت رددنا لك نصف ثمنه . . وإن شئت تركته . . وأعطيناك غيره أفضل منه . .

قال الرجل وهو يتصبب عرقاً من خلق أبى حنيفة وسماحته وصدقه وأمانته :

لا يا أبا حنيفة . . إنى أقبل منك الثوب على ما فيه من عيوب . . وأرجو أن تسمح لى بدفع الثمن مرة أخرى . .

فقال أبو حنيفة : كيف هذا وقد دفعت الثمن للغلام ؟

قال : لقد أعطيت الغلام نقوداً مزيفة . . فسامحنى يا أبا حنيفة . . فلقد تبت على يديك لله رب العالمين . . فادع الله لى أن يقبل توبتى . .

فانظر . . وتأمل إلى خلق أبى حنيفة وسماحته . . وصدقه وأمانته . . وتأمل الدروس واستخلص العبر . . واجمع الخير الذى جمع . .

* لقد منّ الله عليه بأن رد عليه ماله الذى سلب منه . . حين هرب من الدنيا للدين . . وترك متجره إلى الصلاة . . وهكذا الدنيا . . من هرب منها . . جاءته تجرى . . ومن جرى وراءها تركته يلهث . .

* لقد أنعم الله عليه بأن هدى على يديه رجلاً عاصياً . . ولئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها . .

* لقد أعطى الغلام درساً فى الصدق والأمانة . . وأعطى المشترى درساً فى حسن الخلق . . فكان قدوة ومثلاً . .

* ولقد أعطى المسلمين جميعاً درساً فى حسن المعاملة . . فالدين المعاملة . . فكان تاجراً صدوقاً . . كما قال المصطفى (ﷺ) .

« التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » . .

* ولولا التزام أبى حنيفة بالصلاة فى وقتها . . لباع ثوباً حسناً . . وأخذ نقوداً مزيفة . . وضاع عليه ماله . . ولكنه ذهب للصلاة . . وترك الغلام . . فباع الغلام الثوب . . ثم عاد أبو حنيفة . . فأمر الغلام باستدعاء المشترى . . فأخبره بعيب الثوب . . فتأثر المشترى . . ودفع الثمن من جديد لخلق أبى حنيفة وسماحته . . وتعلم الرجل الدرس وكسب الهداية . .

ولو أن أبا حنيفة مكث فى متجره .. وترك الجماعة .. لباع ثوباً حسناً .. وأخذ نقوداً مزيفة .. وضاع عليه ماله .. وخسر ثلاث مرات: خسر ثوباً حسناً .. وخسر ماله .. وخسر صلاة الجماعة .. ولكنه الإسلام الذى يكسب المسلم من ورائه الدنيا والآخرة ..

ومن جوامع الكلم .. يقول الهادى البشير (ﷺ) :

* « التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة »[1] .

ويقول (ﷺ) :

* « إن التجار هم الفجار ..

قالوا : يا رسول الله .. أليس قد أحل الله البيع ؟

قال : بلى .. ولكنهم يحلفون فيأثمون .. ويحدثون فيكذبون »[2] .

* وعن أبى سعيد (رضي الله عنه) قال :

مر أعرابى بشاة .. فقلت :

تبيعها بثلاثة دراهم ؟

فقال : لا والله .. ثم باعها ..

فذكرت ذلك لرسول الله (ﷺ) .

فقال : « باع آخرته بدنياه .. »[3] .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

« البيعان بالخيار ما لم يتفرقا .. فإن صدق البيعان .. وبينا .. بورك لهما فى بيعهما .. وإن كتما وكذبا .. فعسى أن يربحا ربحاً .. ويمحقا بركة بيعهما .. اليمين الفاجرة منفقة للسلعة .. ممحقة للكسب »[4] .

* وعن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده (رضى الله عنهم) :

---

(١) رواه الأصبهانى عن أنس (رضي الله عنه) .
(٢) رواه أحمد والحاكم عن عبد الرحمن بن شبل (رضي الله عنه) .
(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٤) متفق عليه .

أنه خرج مع رسول الله (ﷺ) إلى المصلى . . فرأى الناس يتبايعون . . فقال : « يا معشر التجار . . فاستجابوا لرسول الله (ﷺ) ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه . . فقال :

« إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق »[1] .

* وعن واثلة بن الأسقع (رضي الله عنه) قال :

كان رسول الله (ﷺ) يخرج إلينا . . وكنا تجاراً . . وكان يقول : « يا معشر التجار . . إياكم والكذب »[2] .

* وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال :

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

« الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب »[3] .

« الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة »[4] .

* وعن قتادة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول .

« إياكم وكثرة الحلف في البيع . . فإنه ينفق ثم يمحق »[5] .

• • •

---

(١) رواه الترمذي .
(٢) رواه الطبراني .
(٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) رواه أبو داود .
(٥) رواه مسلم .

يا غياث المستغيثين

« التجارة الرابحة مع الله تعالى »

يقول تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[1] .

ويقول رسول الله (ﷺ) :

« تسعة أعشار الرزق فى التجارة »[2] .

ويقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) :

« لو كنت متخذاً تجارة . . لاتخذت تجارة الطيب . . فإن فاتنى ربحه . . لم يفتنى ريحه . . وإن فاتنى أجره ما فاتنى عطره » .

هذا . .

ولقد اهتم الرسول (ﷺ) بالطيب حتى كان يعرف به كسمة من سماته الكريمة . . وكسمت طيب يحيطه بالجلال والكمال والبهاء . . حتى كان (ﷺ) إذا سار فى طريق سبقه عطره إليه . . وخرجت النساء من بيوتهن . . يسألن عن سر هذا الريح الطيب والمسك المختوم . . الذى فاح عليهن فى بيوتهن فيقلن : لعل محمداً قد سار . . فلقد كان (ﷺ) عطراً يمشى على الأرض ، وكان يقول :

حبب إلىّ من دنياكم ثلاث :

« الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة . . » .

ويقولون :

إنه كان فى بغداد تاجر مشهور . . بتجارة العطور . . وكان هذا التاجر رجلاً صالحًا كثير فعل الخيرات . . وأعمال البر والصلاح . . وعجباً لأمر المؤمن فإن أمره كله خير له . . إن أصابه خير شكر فكان خيراً له . . وإن أصابه شر صبر فكان خيراً له .

---

(١) ٢ ، ٣ الطلاق .

(٢) رواه أحمد .

فقد أصيب هذا الرجل الصالح بكساد فى تجارته فى عام من الأعوام . . فخسرت تجارته خسارة كبيرة . . جعلته مهموماً بعض الشىء . . إلا أن صلته بالله جعلته فى عافية .

وذات يوم بينما هو يسير على شاطىء البحر مهموماً حزيناً . . إذ رأى صياداً يحمل مجموعة من الطيور ، فأعجبته . . فأحب أن يشتريها . . لتكون الطيور إلى جانب العطور فى تجارته . . فلعلها تعوضه بعض ما فقد .

فدفع كل ما معه من مال ثمناً لها ، وظل ينفق عليها . . حتى باع كل ما عنده من عطور من أجل تربية هذه الطيور . . وزينتها . . والمحافظة عليها . . ولم تعد له من تجارته إلا تلك الطيور .

وكان هذا الرجل يضع هذه الطيور في أقفاص جميلة . . أمام المارين والناظرين من أهل بغداد . . وذات يوم أصيبت هذه الطيور بنوبة برد شديدة . . قضت عليها جميعاً . . إلا طائراً ضعيفاً نحيفاً . . شاء الله أن يبقى له من هذه الطيور .

وحزن الرجل حزناً شديداً . . إلا أنه لم ينس الله لحظة واحدة . . فقد كان إيمانه قوياً . . فإن ذهب المال فرب المال باق .

وبات الرجل فى محله بجانب الطائر ، وظل يتعبد ويتهجد طوال تلك الليلة . . وهو يدعو الله قائلاً فى قنوته وسجوده :

يا غياث المستغيثين أغثنى . .

يا غياث المستغيثين أغثنى . .

ظل الرجل يدعو الله حتى مطلع الفجر ، فصلى الفجر ، ومكث يسبح الله فى مصلاه حتى أشرقت الشمس ، فالحديث يقول :

« من صلى الفجر فى جماعة ، ومكث يسبح الله فى مصلاه حتى تشرق الشمس كتب له أجر عمرة تامة » .

وعندما أشرقت الشمس . . فوجئ الرجل الصالح بالطائر الضعيف النحيف . . يردد ما قاله طوال الليل فى تهجده :

يا غياث المستغيثين أغثنى .

يا غياث المستغيثين أغثنى .

فازداد هم الرجل وهو يقول فى نفسه : لو عاشت الطيور لعادت علىّ بأربعمائة درهم . . قيمة البضاعة التى ذهبت هباء . . ولكن قدر الله وما شاء فعل . . .

وظل الطائر العجيب يردد ما قاله الرجل :

يا غياث المستغيثين أغثنى . . قدر الله وما شاء فعل . . إلى أن طار صيت هذ الطائر فى الآفاق . . وأخذ أهل المدينة ومن حولها يتوافدون على محل هذا الرجل . . ليشاهدوا هذا الطائر العجيب . . وأخذ التجار . . والصوفيون . . والرجال والنساء . . والجاريات . . والبنات . . والشباب . . والأطفال . . يهرعون لرؤية هذا الطائر الغريب العجيب . . الضعيف النحيف . . الذى أصبح وقد صار . . خبر الأخبار . . وأصبح يزار . . مثل الآثار . . ويشاء الله ولا راد لما يشاء .

ففى ذات يوم من الأيام . . عند الأصيل ، والشمس تأذن بالرحيل . . تمر جارية الملكة ، فيعجبها هذا الطائر . . وتسأل الرجل . . كم تريد ثمناً لهذا الطائر؟

فيقول لها الرجل الصالح : كما تشاءين ، فتقول له : أرسله وسأرسل لك الثمن مع حامله . . فيرسله الرجل . . وترسل له الملكة ثمناً لهذا الطائر الضعيف النحيف الغريب العجيب . . ألف دينار . . ولم يكن يحلم بألف درهم . . ويعوض الله عليه أضعاف أضعاف ما ضاع ، ويعود لتجارته خيراً مما كان ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1] .

(وصدق الله العظيم) .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[2] .

وصدق رسول الله (ﷺ) :

* « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا » .

---

(١) ٢١٢ البقرة .

(٢) ٢ ، ٣ الطلاق .

ألا بالصبر تبلغ ما تريدُ وبالتقوى يلين لك الحديدُ
ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد طراً وعند الله للأتقى مزيدُ

وصدق الشاعر الحكيم :

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
لا تعجلن فليس الرزق بالعجل الرزق فى اللوح مكتوب من الأزل
فاجأر إليه بالتقوى وبالعمل وبالدعاء وبالإخلاص والأمل
وقل يا رب يا أنسى ويا أملى نورى بنورك نور الشمس والقمر
كلى بكلك مشغول عن البشر فكيف أنساك يا سمعى ويا بصرى(*)

اللهم إنى أعوذ بك : من علم لا ينفع .. ومن قلب لا يخشع .. ومن نفس لا تشبع .. ومن دعاء لا يسمع .. ومن شر هؤلاء الأربع ..

• • •

(*) من شعر المؤلف .

الرشـــوة
فى
نظـر الإســلام

﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ (١)

(قرآن كريم)

---

(١) ١٨٨ البقرة .

« الرشــــوة »

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ (١)

ويقول الرسول الخاتم (ﷺ) : لعن الله الراشى والمرتشى والرائش . .

والراشى : هو الذى يدفع ، والمرتشي : هو الذى يقبض ، والرائش : هو الوسيط بينهما . .

والهدية للحكام . . فى الإسلام رشوة . . فكل هدية توجه للحكام رشوة . . لأنه لو لم يكن حاكماً ما أهدى إليه . . ينطبق هذا على الحكام وأولى الأمر من الناس . .

وعمر بن الخطاب الذى حكم الدنيا من مشرقها إلى مغربها . . وكانت خزائنها فى قبضته ، وجواهرها ملك يمينه . . ولم يردها . . وإن أرادته . .

جوع الخليفة والدنيا بقبضته   فى الزهد مرتبة سبحان موليها

جاءه ذات يوم أحد عماله وكان على إقليم « أذربيجان » ودخل المدينة ليلاً . . وأهلها نيام . . فلم يرض أن يذهب إلى بيت « عمر بن الخطاب » ليلاً حتى لا يقلق مضجعه فى جوف الليل . . وآثر الرجل أن يقضى ليلته فى مسجد رسول الله (ﷺ) فإذا تنفس الصبح قابل أمير المؤمنين فى الفجر . .

ومكث الرجل بالمسجد ينتظر أمير المومنين . . ولما أخذ الرجل مضجعه . . سمع فى جوف الليل صوتاً يتضرع ويقول : إلهى أنا واقف بين يديك . .

أقبلت توبتى فأهنئ نفسى ؟ أم رددتها علىّ فأعزيها ؟

قال الرجل : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا عمر بن الخطاب . .

قال الرجل : عمر . . قال : نعم . . أنا عمر . .

قال : يا أمير المؤمنين لقد منعنى الحياء أن أذهب إليك فى بيتك . . أتنام فى المسجد ؟

قال له عمر : يرحمك الله يا أخى . . إننى إن نمت الليل كله أضعت نفسى أمام ربى . . وإن نمت النهار . . أضعت رعيتى . .

---

(١) ١٨٨ البقرة .

إنه عمر بن الخطاب الذى قال فيه رسول الله (ﷺ)

* « لو أن نبياً بعدى لكان عمر »

* « لو نزل عذاب من السماء ما نجا إلا عمر »

ويصلى عمر الفجر إماماً بالمسلمين . . ويأخذ ضيفه إلى بيته . وينادى على زوجه « أم كلثوم » يا أم كلثوم . إن عندى ضيفاً . . فماذا عندك من الطعام ؟

قالت أم كلثوم - أنت أدرى بما عندى يا أمير المؤمنين خبز وبعض حصيات الملح . . هذا هو بيت أمير المؤمنين هذا أكله . هذه حياته وتلك معيشته فيقول عمر (رضي الله عنه) : أحضريه يا أم كلثوم ويجلس عمر مع ضيفه ويتناولان الخبز والملح معاً ويشربان المـاء

ثم بعد ذلك يسأل عمر فيم جئتنا ؟ خيراً ماذا تريد ؟

فيقـول له الرجـل يا أمير المؤمنين هـذه علبـة حـلوى يهديها إليـك أمير إقـليم « أذربيجان »

ماذا ؟ علبة حـلوى !!.

وكأن هذه الكلمة نزلت على عمر كالصاعقة وكأن عمر قد قامت قيامته

هدية إلى عمر إنها لإحدى الكبر

وإذا بعمر يشتاط غضباً وكان إذا غضب سمعت له زئير الأسود الجريحة إذا ديس عرينها وسمعت له زمجرة كزمجرة الضياغم فى بطون الغاب وإذا بعمر يسأل العـامل

أكل المسلمين أعطيتهم هكذا ؟

فقـال الرجل : عفواً يا أمير المؤمنين . فإن هذه الحـلوى لا تصنع إلا فى هـذا الإقـليم

فقال له عمر . خذ هديتك واذهب بها إلى فقراء المسلمين فى مسجد رسول الله (ﷺ) وأطعمهم إياها . وأبلغ أميرك هناك أنه لو عاد إلى مثل هذا العمل لأنزلت به مصيبة تقصم فقار ظهره

هذا هو عمر الذى خضعت له الدنيا جميعاً فأباها . . .ولم يأخذ منها وإنما أعطاها وأثراها وفتحها وهداها إلى أن فاح شذاها

هذا هو عمر بن الخطاب الذى قال فيه رسول الحق (ﷺ)

* « الشيطان يفر منك يا عمر . . ما سلكت طريقاً إلا وسلك الشيطان طريقاً غيره» . .

* « أنت سراج أهل الجنة يا عمر » . . . .

* « ليبكين الإسلام على موتك يا عمر »

• • •

بشر ملاك

وأقول فيه :

بشر ملاك أم ملاك من بشر	يجتاز بالنور الكواكب والقمر
العدل أنت سطعت من عليائه	فوق الدجى لم تبق منه ولم تذر
ونطقت بالآيات قبل نزولها	فبعثت فى الدنيا ملائكة البشر
وكفاك قول المصطفى - لو حل	بالدنيا عذاب ما نجا إلا عمر[1]

• • •

« الرشوة فى العمل كالسم فى العسل »

هذا هو عمر . . : القدوة والأسوة الحسنة . . لم يقبل الهدية . . وعلل عدم قبوله لها . . بسؤاله للرجل : أكل المسلمين أعطيتهم هكذا ؟ . . فرفض أن يتميز بشىء دون سائر المسلمين . . كما أنه لا يجوز له أن يقبل الهدية وهو حاكم . . لأنه لو لم يكن حاكماً . . ما أهدى إليه .

إذن فالهدية للحاكم والعامل فى الدولة أو الحكومة رشوة مقنعة . . فالرشوة فى العمل . . كالسم فى العسل . . وإن أخذت شكلاً مختلفاً . . أو كانت تحت أى اسم من الأسماء . . فشكلها عند الله رشوة . . واسمها عند الله رشوة . . وكفى أشكالاً . . وتسميات . . ولنسم الأشياء بمسمياتها . . ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾[2] . . والله لا ينظر إلى صوركم . . وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم . .

---

(١) من شعر المؤلف ديوان (لآلئ ودرر من عدالة عمر) .

(٢) ٢٣ النجم .

ومن هو الراشى الملعون المستحق لوعيد الله ورسوله ؟

إنه واحد من ثلاثة أو ثلاثة فى واحد :

* من يريد أن يأخذ برشوته هذه حق الآخرين ، وبذلك يظلم غيره ، فيما لا حق له فيه . .

* من يريد برشوته أن يُعان على الباطل . .

* من يريد أن يتقدم على من هو أولى منه بالتقديم . .

هؤلاء لعنهم الله ورسوله :

* بأن دعا عليهم الرسول (ﷺ) بالطرد من رحمة الله تعالى .

* وأن أخبر عن لعنة الله لهم بسوء العاقبة .

* وخلودهم فى النار .

لحديث النبى (ﷺ) عن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) :

« لعن رسول الله (ﷺ) الراشي والمرتشي والرائش »[1] . .

كما روى الحاكم وابن حبان : أن رسول الله (ﷺ) قال :

« لعنة الله على الراشي والمرتشي »[2] .

وعنه (رضي الله عنه) عن النبى (ﷺ) قال : « الراشي والمرتشي في النار »[3] .

وعن عبد الله بن مسعود (رضى الله تعالى عنه) قال : « الرشوة فى الحكم كفر . . وهى بين الناس سحت . . »[4] .

لأنها تحمل صاحبها على الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[5] .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

(٢) رواه الحاكم وابن حبان .

(٣) رواه الطبرانى .

(٤) رواه الطبرانى .

(٥) ٤٤ المائدة .

وعن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة « والسنة أي القحط ويبس الأرض » وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب »[1] .

• • •

الراشى المجبــر

إذا كان هذا هو حكم الراشى . .

فما حكم الراشى المجبر؟ ومن هو الراشى المجبر ؟ ومتى يكون مجبراً ؟

* إن الراشى المجبر لا لوم عليه . .

* ولا يكون الراشى مجبراً إلا بشرطين :

– إذا كان ما يعطيه من رشوة . . للحصول على حق لا سبيل إلى تحصيله إلا بها .

– إذا كان هذا لدفع ظلم واقع به لا سبيل إلى دفعه إلا بالرشوة .

* ومتى يكون مجبراً ؟

إذا خيف على ماله أو دمه أو عرضه . .

فقد روى أن عبد الله بن مسعود . . دفع دينارين كى يخلى سبيله . . عندما أسر بأرض الحبشة . . كما روى عن بعض أئمة التابعين قولهم : لا بأس أن يدافع المرء عن نفسه وماله إذا خاف الظلم عليهما . .

ولكن الإمام الشوكانى يرى غير ذلك . . إذ يقول (الحق التحريم مطلقاً أخذاً بعموم الحديث . . ومن زعم الجواز فى صورة من الصور . . فإن جاء بدليل مقبول . . وإلا كان تخصيصه رداً عليه . . فإن الأصل فى مال المسلم التحريم) .

لهذا يقول الهادى البشير (ﷺ) :

« الحلال بيِّن ، والحرام بيِّن ، وبينهما أمور متشابهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » .

---

(١) رواه الطبرانى وغيره .

فإذا استعنت بفتوة على فتوة فلا لوم عليك ، وإذا استعنت برب القوة فذلك خير لك . . وهذا يختلف من شخص لآخر . . كل حسب إيمانه من القوة والضعف .

ولا تنس حديث النبى (ﷺ) :

« التقوى ها هنا .. التقوى ها هنا .. التقوى ها هنا » .

وأشار بأصبعه إلى صدره الشريف . .

فاستفت قلبك وإن أفتاك الناس وإن أفتوك .

هذا بالنسبة للراشى المجبر . .

فما حكم المرتشى والرائش ؟

إن المرتشى والرائش لا يكونان مجبرين أبداً . . وإن كثرت الحجج ، وتعددت الأقاويل . . فهى واهية . . واهية . . واهية . . وأرض الله واسعة . . والأعمال الشريفة . . ما أكثرها . . وما أكرمها !!

ويقول الله تعالى فى كتابه الحكيم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ (١) .

وإذا كان الراشى ملعوناً والمرتشى ملعوناً وملعوناً . . فإن الرائش ملعون وملعون وملعون . . لأنه هو الذى يسوّل لكل منهما المنكر ، ويزين له أمره . .

فهو سفير السحت .. وبومة الخراب .. وعدو البركة .

• • •

---

(١) ٩٧ النساء .

مَن بُشر بأنثى

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [1].

(قرآن كريم)

(١) ٥٨ سورة النحل .

« مَنْ بَشَّرَ بأنثى »

قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[1] .

ويقول الرسول الكريم (ﷺ) :

* « من رزق بأربع بنات كن له عوناً يوم القيامة .. قال صحابي : وإن كن ثلاث بنات يا رسول الله ؟.. قال : وإن كن ثلاث بنات .. قال آخر : وإن كن اثنتين يا رسول الله ؟.. قال (ﷺ) : وإن كن اثنتين .. قال آخر : وإن كانت واحدة ؟.. فقال (ﷺ) : من رزق بأنثى وأحسن تربيتها كانت له حجاباً من النار يوم القيامة » .

وقد جاء في الأثر : قول حكيم ..

خير الناس من بكر بأنثى .. أي كانت أول ولادته أنثى ..

وتلا قوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ .

فقدم الله الإناث على الذكور .. لفضلهن .. على الوجود .. فهن رحم الحياة .. الذى يجود .. فلا يبخل .. ويعطى بلا حدود ..

• • •

« المرأة كالأرض تعطى ما تأخذه »

ويروى أن رجلاً . . هجر زوجته . . مدة طويلة . . لأنها لا تلد إلا الإناث . . وأخذ يتردد على بيت قريب . . يريد الزواج من إحدى نسائه . . وعلمت زوجته بذلك . . ولم تجد ما تقوله غير هذه الكلمات . . تنعى بها حظها . . فقد تزوج زوجها . . ولم تعد تراه . . إلا لماما . . فقالت . . .

ما لأبى حمزة لا يأتينا ... ويدخل البيت الذى يلينا
غضبان ألا نلد البنينا ... تالله ما ذلك فى أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ... ونحن كالأرض لزارعينا
نُنبت ما قد يزرع فينا

---

(١) ٤٩ ، ٥٠ الشورى.

« اليوم .. كالأمس »

وما أشبه الليلة بالبارحة . . ولا جديد تحت الشمس !!

فللأسف ونحن فى القرن الخامس عشر الهجرى . . والعالم الآن فى الفضاء . . وعلى مشارف القرن الحادى والعشرين الميلادى . . وفى عصر الكواكب . . لم نزل نسمع هنا وهناك . . أن رجلاً أقسم على زوجته . . إن أنجبت أنثى . . بعد ذلك . . لتكونن طالقاً . . وكأننا . . عدنا إلى الجاهلية الحمقاء من جديد . . فأى حمق . . هذا ؟ ! وهل يملك هذا . . هو أو زوجته . . أو أهل الأرض جميعاً . . أن يخلقوا ذباباً . . ولو اجتمعوا له . . وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه . . ضعف الطالب والمطلوب ؟ هل يملك أحد أن يتحكم فى الجنين فيأتى به مرة ذكراً ومرة أنثى ؟

• • •

ردة وبربرية
وعود إلى الجاهلية

إن هذا عودة إلى الجاهلية . . التى كانت تقتل الأنثى . . وتبقى على الذكر . . وقد ندد الله بهذا . . فقال فى قرآنه الكريم : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ (١) .

ولحكمة أرادها الله . . كانت ذرية رسول الله (ﷺ) إناثاً . . فقد أنجب (ﷺ) . . زينب ورقية وأم كلثوم . . وعندما ولدت زهرة أهل البيت وريحانة الرسول (ﷺ) . . فاطمة الزهراء . . قالوا له : يا رسول الله إنها أنثى . . فقال لهم الرسول الكريم (ﷺ) : هى ريحانة أشمها . .

وقد مد الله فى ذكره . . برغم أنف الحاقدين الحاسدين . . فقال تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ .

• • •

---

(١) ٥٨ النحل .

« حجاب من النار »

* وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه ، أو صاحبهما إلا أدخلتاه الجنة »(١) .

* وقال رسول الله (ﷺ) :

* لا يكون لأحدكم ثلاث بنات .. أو ثلاث أخوات فيحسن إليهم إلا دخل الجنة »(٢) .

* وقال (ﷺ) :

« ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يَبِنَّ أو يَمُتْنَ إلا كن له حجاباً من النار ، فقالت امرأة : أو بنتان ؟ قال : وبنتان »(٣) .

* وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت : « دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندى شيئاً غير تمرة واحدة . . فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها . . ولم تأكل منها شيئاً ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبى (ﷺ) فأخبرته . . فقال : « من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن .. كن له ستراً من النار . . »(٤) .

* وفى حديث آخر :

« من ابتلى بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجاباً من النار » .

هؤلاء . . هن البنات . . اللائى يُحزنَّ البعض . . إذا بشر بهن . . هؤلاء هن اللائى إن أُحسن تربيتهن كن لنا حجاباً من النار . . يوم القيامة . .

هؤلاء الرياحين . . والورود . . التى نشمها . . عبقاً وأريجاً . . آناء الليل وأطراف النهار . . هؤلاء اللائى يأتين يوم القيامة . . ويتعلقن بآبائهن . . ويقلن : يا ربنا : إنه أبونا . . أحسن تربيتنا . . إنها أمنا . . أحسنت تربيتنا . . فيأمر الله بدخول البنات الجنة . . فيقلن . . يا رب . . لن ندخل حتى يدخل آباؤنا . . فيقول أرحم الراحمين : « ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم » .

● ● ●

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه الطبرانى .

(٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

الخمر أم الخبائث

* « لا يدخل الجنة مدمن خمر »[1] .
* « لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر فى صدر رجل أبداً »[2] .
* « من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن »[3] .
* « ثلاثة حرم الله عليهم الجنة :

١ - مدمن خمر .

٢ - العاق لوالديه .

٣ - الديوث (الذى لا يغار على أهله) »[4] .

* « من سره أن يشرب الخمر فى الآخرة . . فليتركها فى الدنيا »[5] .
* « من شرب الخمر . . لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً . . حتى يتوب »[6] .
* « من شرب الخمر خرج نور الإيمان من قلبه »[7] .
* « من شرب الخمر أتى عطشان يوم القيامة »[8] .
* « من زنى أو شرب الخمر . . نزع الله منه الإيمان . . كما يخلع الإنسان القميص من رأسه »[9] .

---

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه ابن حبان .
(٣) رواه أحمد .
(٤) رواه أحمد .
(٥) رواه الطبرانى .
(٦) رواه الترمذى .
(٧) رواه الطبرانى .
(٨) رواه أحمد .
(٩) رواه الحاكم .

« تحريم الخمر »
« الخمر في القرآن »

ثلاث آيات . . نزلت فى الخمر . . أولها تقييم ، وثانيها تقويم ، وثالثها تحريم . .

* قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾(١) . . وكان هذا جواباً شافياً لسؤال المسلمين عنها . وتقييماً للخمر وبياناً لما فيها من الإثم الذى يجاوز النفع . . فشربها من شربها . . وتركها من تركها . . إلى أن شرب رجل الخمر . . ودخل فى الصلاة . . وهو سكران فقرأ : « يا أيها الكافرون .. أعبد ما تعبدون » دون ذكر النفى ، فنزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾(٢) .

فكانت هذه الآية تقويماً للمسلمين وتمهيداً لتحريمها تحريماً نهائياً . .

فنزل قول الله تعالى بالتحريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(٣) .

● ● ●

---

(١) ٢١٩ البقرة .
(٢) ٤٣ النساء .
(٣) ٩٠ ـ ٩١ المائدة .
(*) كوارث الطريق : ذكرت آخر الإحصائيات فى الاتحاد السوفيتي السابق أن أكثر من ٥٦ ألف شخص قد لقوا مصرعهم وأصيب ٣٢٥ ألفاً آخرين في حوادث الطرق في الاتحاد السوفيتي خلال الأحد عشر شهراً الماضية مشيرة إلى أن العوامل الرئيسية وراء ارتفاع عدد حوادث الطرق في الاتحاد السوفيتي هى اللامبالاة وعدم الانضباط حيث تم ضبط ٢,٥ مليون سائق في حالة سكر خلال الـ١٨ شهراً الماضية .

« الخمر فى السنة »

ويقول الرسول الكريم (ﷺ) :

* « لا يدخل الجنة مدمن خمر »[1] .

* « ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة .. وإن دخل الجنة »[2] .

* « وأول ما نهانى ربى بعد عبادة الأوثان .. عن شرب الخمر وملاحاة الرجال » .

* « وما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا إلا جمعهم الله فى النار .. فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون .. يقول أحدهم للآخر : يا فلان .. لا جزاك الله عني خيراً .. فأنت الذي أوردتنى هذا المورد .. فيقول له الآخر: مثل ذلك » .

* « ومن شرب الخمر فى الدنيا .. سقاه الله من سم الأساود .. شربة يتساقط منها لحم وجهه فى الإناء .. قبل أن يشربها .. فإذا شربها يتساقط لحمه وجلده ؛ فيتأذى به أهل النار ، ألا إن شاربها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها، شركاء فى إثمها .. لا يقبل الله منهم صلاة ، ولا صوماً ، ولا حجاً ، حتى يتوبوا ، فإن ماتوا قبل التوبة ، كان حقاً على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم » .

* « ألا وإن كل مسكر خمر وكل خمر حرام »[3]

* « وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : « لعن رسول الله (ﷺ) فى الخمر عشرة : عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشترى لها ، والمشترى له »[4] .

* وعن أبى هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال :

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »[5] .

● ● ●

---

(١) رواه الحاكم .

(٢) رواه البخارى

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه ابن ماجه والترمذى .

(٥) متفق عليه .

« حديث عثمان بن عفان »

وعن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

« اجتنبوا أم الخبائث ، فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ، ويعتزل الناس ، فعلقته امرأة ، فأرسلت إليه خادماً . . إنا ندعوك لشهادة . . فدخل ، فطفقت . . كلما يدخل باباً أغلقته دونه . . حتى إذا أفضى إلى امرأة وضيئة جالسة ، وعندها غلامٌ وباطية فيها خمر ، فقالت : إنا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لقتل هذا الغلام ، أو تقع عليّ أو تشرب كأساً من الخمر ، فإن أبيت صحت بك وفضحتك . . قال : فلما رأى أنه لابد له من ذلك . قال : اسقيني كأساً من الخمر ، فسقته كأساً من الخمر . . فقال : زيديني ، فلم تزل حتى وقع عليها . . وقتل النفس ، فاجتنبوا الخمر . . فإنه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر في صدر رجل أبداً ، وليوشكن أحدهما يخرج صاحبه »(1) . .

• • •

« هاروت وماروت »

وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول :

« إن آدم لما أهبط إلى الأرض ، قالت الملائكة : أى رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟! . . قال : إنى أعلم ما لا تعلمون . قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم ، قال الله لملائكته : هلموا ملكين من الملائكة ، فننظر كيف يعملان ؟ « أى : اختاروا من بينكم ملكين يهبطان إلى الأرض وتركب فيهما الشهوة الآدمية . . . » قالوا : ربنا . . هاروت وماروت . . قال : فاهبطا إلى الأرض ، فتمثلت لهما الزُّهَرة « وهى أجمل النجوم فى السماء » امرأة من أحسن البشر ، فجاءاها ، فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك . . قالا : والله لا نشرك بالله أبداً ، فذهبت عنهما ، ثم رجعت إليهما ومعها صبى تحمله ، فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تقتلا هذ الصبى ، فقالا : والله لا نقتله أبداً ، فذهبت ، ثم رجعت بقدح من خمر تحمله ، فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تشربا هذه الخمر ، فشربا وسكرا ، فوقعا عليها وقتلا الصبى ، فلما أفاقا ، قالت المرأة : والله ما تركتما من شيء أبيتماه على . . إلا فعلتماه حين سكرتما . . فَخُيِّرا عند ذلك بين عذاب الدنيا والآخرة . . فاختارا عذاب الدنيا »(2) .

(1) رواه ابن حبان والبيهقى . (2) رواه أحمد .

« عطشان يوم القيامة »

ويقول رسول الله (ﷺ) :

* « من شرب الخمر أتى عطشان يوم القيامة »[1].

* « كل مسكر حرام ، وإن عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال . قالوا : يا رسول الله ! وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار »[2].

• • •

« من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة »

ويقول الرسول الكريم (ﷺ) :

« من مات من أمتى وهو يشرب الخمر ، حرم الله عليه شربها فى الجنة ، ومن مات من أمتى ، وهو يتحلى الذهب حرم الله عليه لباسه فى الجنة »[3].

• • •

الشخصية الإسلامية

وقد حرم الإسلام الخمر . . ليس حرماناً للمسلم من شيء فيه منفعة . . وإنما خوفاً على العقل أن يضل . . والشخصية أن تميع . . والبهاء أن يذهب . . والرجولة أن تضيع . . فعن عبد الله بن عمرو أن النبى (ﷺ) قال :

« الخمر أم الخبائث » .

وقال :

« الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه ، وخالته ، وعمته . . . » .

• • •

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى .

(٢) رواه مسلم والنسائى .

(٣) رواه أحمد والطبرانى .

« الخمر في الأديان السابقة »

وكما أن الخمر محرمة في الإسلام . . فهي محرمة في المسيحية . . وفي الأديان السابقة . . فقد جاء في الكتاب المقدس . . تحريمها تحريمًا مطلقاً . . سواء كانت من الشعير أو من التمر أو من العسل أو من العنب . . أو من الحنطة . . أو ما خامر العقل .

ومن هذه الأقوال المذكورة عندهم :

* « لا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة » .
* « السكران من الخمر لا يرث ملكوت السموات » .
* « لا تخالط السكير .. فتفقد هيبتك » .

• • •

« سكران »

وقد ذكر ابن أبي الدنيا . . أنه مر بسكران . . وهو يبول في يده . . ويغسل به يده كهيئة المتوضئ . . وهو يردد كلمات الوضوء . . « الحمد لله الذى جعل الإسلام نوراً والماء طهوراً » . .

• • •

« يسمونها بغير اسمها »

فعن جابر (رضي الله عنه) : أن رجلاً قدم من جيشان ، وجيشان من اليمن . . فسأل رسول الله (ﷺ) : عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة ، يقال له : المزر . . فقال رسول الله (ﷺ) : أو مسكر هو ؟ . . قال : نعم . قال رسول الله (ﷺ) : كل مسكر حرام .. وإن عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال . . قالوا : يا رسول الله ! وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار »(١) .

ويقول الرسول الكريم (ﷺ) :

« ما أسكر كثيره فقليله حرام »(٢) .

---

(١) رواه مسلم والنسائي .

(٢) رواه الترمذى والنسائي وأبو داود .

ويقول (ﷺ) : « يشرب ناس من أمتي الخمر ، ويسمونها بغير اسمها ، يضرب على رءوسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير »[1] .

• • •

« من أنواع الخمور »

من أهم الأنواع التى تسمى بأسماء مختلفة وهى : خمر حرام :

البراندى ، والويسكي ، والروم ، والليكير ، والجن ، والهولندى ، والجنيفا ، والشرى ، والماديرا ، والكلارت ، والشمبانيا ، والهوك ، والبرجاندى ، والبيرة .. مثل : الأيل ، والستوت ، والبورتر ، والميونخ ..

كذلك .. القصب المتخمر .. والبوظة ، والأقراص المخدرة ، وتعاطى الحشيش ، والأفيون ، والكوكايين ، ونحوها من المخدرات ، كالسموم الحديثة .. بيضاء كانت أو سوداء ..

• • •

« كل مسكر حرام »

من هـنا نعلم أن كل مسكر خـمر .. وكل خمـر حرام[2] . . كما قال مسك الختام . . (ﷺ) : « كل مسكر حرام »[3] . .

ومعنى هذا : أن أى شراب أسكر كثيره فقليله وكثيره حرام ، حتى ولو سمى بغير اسمه . . للتضليل . . أو التحليل . .

فعن على (كرم الله وجهه) أن رسول الله (ﷺ) نهاهم عن الجعة « وهى نبيذ من الشعير » « أى : البيرة »[4] .

كما أنه لا يجوز شراب نبيذ مَرَّ عليه ثلاثة أيام . . سواء كان عسلاً ، أو قصباً ، أو عنباً ، أو زبيباً ، أو تمراً ، أو حنطة ، أو شعيراً . . لحديث ابن عمر (رضي الله عنه) فى العصير « اشربه ما لم يأخذه شيطانه ، قيل : وفى كم يأخذه شيطانه ؟ . . قال : فى ثلاث »[5] .

---

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه أبو داود والنسائى .
(٥) رواه أحمد عن ابن عمر (رضى الله عنهما) .

إذا كانت هذه هى أنواع الخمور ، فما هى الأنواع التى تأتى منها الخمور ؟

روى البخارى ومسلم أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خطب على منبر رسول الله (ﷺ) فقال : « أما بعد ، أيها الناس : إنه نزل تحريم الخمر ، وهى من خمسة أشياء : من العنب ، والتمر ، والعسل ، والحنطة ، والشعير ، والخمر ما خامر العقل » .

ومعنى : والخمر ما خامر العقل . . أى : ما سمى بغير اسمها . . كما قلنا : للتحليل وللتضليل . . وخامر العقل . . أى : أفقده اتزانه . . وستر مداركه . .

• • •

« المخـــدرات »

ولا شك أن المخدرات . . التى تزيل العقل من غير الأشربة . . كالحشيش مثلاً . . حرام . . بل إن بعض علماء الحنفية قال : إن من قال بحل الحشيش . . زنديق مبتدع . وقال ابن تيمية : « هذه الحشيشة الملعونة هى وآكلوها ، ومستحلوها ، الموجبة لسخط الله تعالى ، وسخط رسوله ، وسخط عباده المؤمنين ، المعرضة صاحبها لعقوبة الله ، تشمل على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعه ، وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقاً كثيراً مجانين ، وتورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه .. وغير ذلك .. ما لا تورث الخمر . ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر . فهى بالتحريم أولى .. وقد أجمع المسلمون على أن السكر منها حرام .. ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال .. فإنه يستتاب .. فإن تاب وإلا قتل مرتداً ، لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين » .

إنه لقمة الفسق والفجور . . إنه اللقمة الملعونة . . التى لا تعد خصالها القبيحة . . ولقد عد منها العلماء مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية . .

وإن الأفيون لأكثر سوءاً . . وأشد مضرة . . من هذه الحشيشة الخبيثة . . وبه من المضار . . ما لا يعلمه إلا الله . .

فتعاطى هذه المخدرت الخبيثة على أى وجه من الوجوه . . سواء كانت أكلاً ، أو شرباً ، أو شماً ، أو احتقاناً ، أو مسحًا . . حرام . . وإنه يحرم ما أسكر من أى شىء .

وإن الأقراص المجنونة - أقراص الهلوسة - التى يتعاطاها شباب اليوم . . والتى استفشت كالوباء بين الشباب والتلاميذ . . والتى نحاول جاهدين محاصرتها والقضاء

عليها . . هى أخطر وأفسد من الحشيش والأفيون . . لما ثبت علمياً من أن تعاطيها يجلب الأمراض المزمنة التى يطول علاجها . . والأمراض الخبيثة التى يصعب علاجها . .

نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة .

• • •

« تجارة الخمور والمخدرات »

إذا كان هذا حال شارب هذه الخمور ومتعاطى المخدرات . . فما حال المتاجر فيها والآكل ثمنها ؟ يقول الرسول الكريم (ﷺ) :

« **إن الله حرم بيع الخمر ، والميتة ، والخنزير ، والأصنام** »(١) .

وما حرم أكله حرم ثمنه . . وما حرم ثمنه . . حرم بيعه . . وما حرم بيعه . . حرم صنعه أو زرعه . . ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ .

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

« **أتاني جبريل فقال : يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، والمحمولة إليه ، وبائعها ، ومبتاعها ، وساقيها ، ومسقاها** »(٢) .

كما يحرم ثمن هذه الخمور والمخدرات لحديث النبى (ﷺ) :

« **إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه** »(٣) . فيصبح ثمن هذه المخدرات خبيثاً سحتاً حراماً . . وكل جسم نبت من حرام . . فالنار أولى به . . ولا تقبل عبادته حتى يتوب . .

«إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » . وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين . . فقال تعالى :

﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾(٤) .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾(٥) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه أحمد .
(٣) رواه ابن أبى شيبة .
(٤) ٥١ المؤمنون .
(٥) ١٧٢ البقرة .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يده إلى السماء . . يا رب . . يا رب . . ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام؛ فأنى يستجاب لذلك؟ ».

وروى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: تليت هذه الآية عند رسول الله (ﷺ): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ﴾ فقام سعد بن أبى وقاص (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله . . ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال له النبى (ﷺ): يا سعدُ أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده : إن العبد ليقذف باللقمة الحرام في جوفه.. ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به»[1].

• • •

« حرام فى الدنيا .. حلال فى الآخرة »

وقد يسأل سائل . . كيف نشرب فى الآخرة محرماً علينا فى الدنيا ؟ . . لقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[2] .

فكيف يحرم الله الخمر فى الدنيا ويحللها فى الآخرة . . ؟

إن الخمر التى فى الدنيا . . تفقد شاربها عقله وتخل بإدراكه . . وتجعله منحلاً نفسيًا وجسدياً . . ديوثاً لا يغار على أهله . . لحديث النبى (ﷺ):

« الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه وخالته، وعمته » .

أما الخمر التى فى الآخرة . . فهى خمر طيبة . . من رب طيب . . لذة للشاربين . . لا تفقد صاحبها . . ولا يفقدها صاحبها . . يقول تعالى: ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ﴾ . . ويقول جل وعلا : ﴿ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ .

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير .

(٢) ١٥ سورة محمد (ﷺ) .

ويقول تعالى : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾ أى : أنهار جاريات من خمر لذيذة الطعم ، يتلذذ بها الشاربون . . وقد قيدها الله تعالى بأنها لذة للشاربين ، لأن الخمر كريهة الطعم فى الدنيا . . لا يتلذذ بها إلا فاسد المزاج . . الذى ليس له علاج . . أما خمر الآخرة فهى طيبة الطعم والرائحة واللون ، يشربها أهل الجنة للالتذاذ . . والمتعة . . والهناء . .

• • •

الخمر والحرير والذهب

والخمر فى الدنيا شأنها شأن الحرير والذهب . . من تركهما فى الدنيا مخافة الله تعالى . . ألبسهما الله إياه فى الآخرة . . لحديث النبى (ﷺ) :

« من سره أن يسقيه الله الخمر فى الآخرة .. فليتركها فى الدنيا ..

ومن سره أن يكسوه الله الحرير فى الآخرة فليتركه في الدنيا »[1] .

وقوله (ﷺ) :

« من مات من أمتي ، وهو يشرب الخمر ، حرم الله عليه شربها فى الجنة[2]

ومن مات من أمتي ، وهو يتحلى بالذهب حرم الله عليه لباسه فى الجنة » .

وفى الحديث القدسى عن رب العزة :

« من ترك الخمر وهو يقدر عليه لأسقينه منه فى حظيرة القدس : ومن ترك الحرير ، وهو يقدر عليه لأكسونه إياه فى حظيرة القدس »[3] .

• • •

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط

(٢) رواه أحمد والطبرانى .

(٣) رواه البزار بإسناد حسن .

التداوى بالخمر

كان يشيع بين الناس أن فى الخمر دواء . . بحجة أن الكحول له تأثير تنبيهى على القلب ، والحقيقة أن الكحول لم يصل بعد إلى رتبة الأدوية المنبهة (كالأستركنين) و (الكورامين) وقد يقول قائل أو يسأل سائل : كيف هذا والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾(١) .

إذن فهناك منافع . . ولكن ما هى هذه المنافع . . ومن هم هؤلاء الناس ؟

إن الحق سبحانه لم يقل منافع للشاربين واللاعبين . . فلا شك أن الشارب واللاعب يذهب منه دينه ويذوى عقله . . وتبدد ثروته . . وتفنى صحته . . وإنما المنافع هى منافع مادية ، تكون للتجار الذين يتجرون فيها ، وأصحاب الحانات والملاهى والعاملين عليها ، وما شاكل هؤلاء ، فضلاً عن عاصريها ومعتصريها . .

هذا وقد أعلن رسول الله (ﷺ) أنه لا دواء فى حرام . . وقد كان الناس فى الجاهلية قبل الإسلام يتناولون الخمر للعلاج ، فلما أشرق نور الإسلام نهاهم النبى (ﷺ) عن التداوى بها وحرمه .

فقد روى الإمام أحمد عن طارق بن سويد . . أنه سأل رسول الله (ﷺ) عن الخمر فنهاه عنها . . فقال : « إنما أصنعها للدواء » . . فقال (ﷺ) :

* « إنه ليس بدواء ، ولكنه داء »(٢) .

* « إن الله أنزل الداء والدواء، فجعل لكل داء دواء ، فتداووا ، ولا تتداووا بحرام »(٣) .

ولقد كانوا يتعاطون الخمر فى بعض الأحيان قبل الإسلام لبرودة الجو . . لتدفئة أجسامهم . . وجاء الحق وزهق الباطل فنهاهم الإسلام عن ذلك . . فقد سأل « ديلم الحميرى » رسول الله (ﷺ) فقال :

---

(١) ٢١٩ البقرة .
(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى .
(٣) رواه أبو داود .

« يا رسول الله . . إنا بأرض باردة ، نعالج فيها عملاً شديداً ، وإنا نتخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا ؟

قال رسول الله (ﷺ) : هل يسكر ؟

قال : نعم .

قال : فاجتنبوه .

قال : إن الناس غير تاركيه .

قال : فإن لم يتركوه فقاتلوهم » .

• • •

« ليس بدواء ولكنه داء »
« وما جعل الله شفاءكم فى حرام »

* يقول الهادى البشير (ﷺ) :

« إن الله ما جعل شفاء أمتي فيما حرم عليها » . .

وروى أن الله تعالى عندما حرم الخمر سلب منها المنافع . . والدواء . . وفى هذا يقول المعصوم (ﷺ) :

* « إنه ليس بدواء ، ولكنه داء . . » .

* « ما جعل الله شفاءكم في حرام » .

فمن تداوى بها وهو مريض زاده الله مرضًا ، ومن شربها وهو صحيح مرض . وقد أثبت الطب أن الأشخاص الذين يتعاطون الخمر أكثر استعداداً للمرض ، وأقل تحملاً لمقاومة الأمراض ، وقد جاء بإحصائية لشركات التأمين على الحياة أن استعمال الخمور ولو بمقدار يسير . . يقصر أمد الحياة . . وقد يسأل سائل : كيف يقصر أمد الحياة . . أو كيف يقصر العمر ؟ والله يقول : ولكل أجل كتاب ؟! فأقول : نعم يقصر العمر . . فكما أن البر يطيل العمر . . فإن الخمر يقصر العمر . . بل أكثر من ذلك . . فإن الأيام التى يعيشها شارب الخمر والمخدرات على قلتها . . يعيشها عليلاً مريضاً . . وهذا فى حد ذاته قصر للعمـــر . .

كما أنه من الأضرار الجسيمة التى يتسبب فيها شارب الخمور . . ومتعاطى المخدرات . . حلول الفقر ودوامه . . لأن الخمر نذير الفقر . . فما دخل الخمر إلى بيت إلا وقال له الفقر خذنى معك ، وما دخل الخمر إلى عقل إلا وقال له المرض : إنى ها هنا . . وإن شارب الخمر : إذا أنفق أتلف ، وإن سخا أسرف .

ولله در القائل :

شربت الخمر حتى ضل عقلي كذاك الخمر تفعل بالعقول

وقول الآخر :

لعمرك إن الخمر ما دمت شارباً لسالبة مالي ومذهبة عقلي

كما أن الخمر والمخدرات نذير شؤم على شاربها أو متعاطيها . . فإنها نذير شؤم على كل من يصاحب هؤلاء . . أو يسير معهم . . وكثيراً ما نسمع عن حوادث أودت بحياة الأبرياء . . وأهلكت الأموال والأحوال . . وكان وراءها سكران من هؤلاء الذين لا خلق لهم ولا دين .

كما أن الخمر تودى بالمروءة والأخلاق ، وتضعف النفس ، وتوهن الشخصية ، وتقود إلى فعل الفواحش والموبقات ، ولا عجب فى هذا وقد لخص هذا رسول الله (ﷺ) بقوله : « الخمر أم الخبائث » ، « الخمر أم الفواحش » و « الخمر رأس الشر » لا جدال . . فقد قيل لرجل يشرب الخمر يوماً : ما تصنع بك الخمر ؟ قال : إنها تهضم طعامى ، فقال له : إنها تهضم من دينك ومن عقلك أكثر مما تهضم من أكلك . .

فكلما أسرف شارب الخمر فى الشراب ، كلما ازداد طيشاً وغباء ، فيصبح خفيف العقل . . كثير النقل . . يحتفى بالرذيلة . . ويهزأ بالفضيلة . . لا يغار على أهله . . ولا يخجل من جهله ، ويصبح فى الناس إمعة .

● ● ●

« وكان أبوه فاسداً »

وكما أن الخمر يؤثر على شاربه والحشيش والأفيون يؤثران على أصحابهما . . فإن التأثير لا يتوقف عند هذا الحد فحسب . . بل يشمل الأصول والفروع . . فيمتد إلى الذرية . .

فقد جاء فى تقرير طبى : أن أولاد السكيرين ينشأون معتلى الأجسام ، ناقصى

الأوزان . . بعض الأحيان . . كما أن دافع الشر فى نفوسهم شديد . . والميل إلى الإجرام عندهم قائم . .

كما أن الخمر تعد من أسباب الإجهاض المباشرة . . كما أنها من أسباب التشوهات الخلقية عند الجنين . . فضلاً عن العلات الخلقية التى تنتقل إليه من نطفة أبيه . .

• • •

« مفتاح كل شر »

وصدق رسول الله (ﷺ) :

* « **الخمر مفتاح كل شر .. وإن خطيئتها تعلو كل الخطايا ، كما أن شجرتها تعلو كل الشجر . .** » وما كان مفتاح كل شر . . كان مغلاق كل خير . .

وقد جاء فى تقرير طبى عن أضرار الخمر . . ما يمنع تعاطيها منعاً باتاً . . لضررها البالغ . . وأثرها القاتل . .

• • •

« المرض الخبيث »

« إن الخمر[1] من أعظم الأخطار التى تهدد النوع البشرى ؛ لا بما تورثه مباشرة من الأضرار السامة فحسب ، بل بعواقبها الوخيمة أيضاً ؛ إذ أنها تمهد السبيل لخطر لا يقل ضرراً عنها ، ألا وهو « السل » . . ذلك المرض القاتل . .

والخمر توهن البدن ، وتجعله أقل مقاومة وجلداً فى كثير من الأمراض مطلقاً ، وهى تؤثر فى جميع أجهزة البدن ، وخاصة الكبد ، وهى شديدة الفتك بالمجموعة العصبية . .

• • •

---

(١) مجلة التمدين الإسلامى بقلم د. عبد الوهاب خليل .
بين الطب والإسلام بقلم د. حامد الغوابى .
فقه السنة للشيخ الفقيه / سيد سابق .

« جرثومة البـؤس »

لذلك لا يستغرب أن تكون من أهم الأسباب الموجبة لكثير من الأمراض العصبية ، ومن أعظم دواعى الجنون والشقاوة والإجرام ، لا لمستعملها وحده ؛ بل وفى أعقابه من بعده . فهى إذن علة الشقاء والعَوَز والبؤس ، وهى جرثومة الإفلاس والمسكنة والذل - وما نزلت بقوم إلا أودت بهم : مادة ومعنى . . بدنًا وروحاً . . جسماً وعقلاً . .

كما أن هـذا الكون الذى يسـير وفق نظام وترتيب ربانى يقتضى ألا يمس بشىء يخـل به . . فتسود الفوضى وتنشأ التفرقة . . التى هى هدف الأعداء الأول . . تحت شعار : فَرِّق تسد .

كما أن هذه الأموال التى تبدد من أجل شراء هذه الخمور بالعملات الصعبة . . ضرر اقتصادى يصيب المجتمع بالتضخم ، ويُكَبِّله بالديون . . ولو أحسن لأنفقها فى تحسين المطعم والمشرب . . وبناء المصنع . . واستصلاح الأرض . . التى تدر نفعاً عاماً للناس كافة . .

كما أن معظم رواد السجون من هؤلاء المخمورين . . الذين وجدوا الخمر ميسرة لهم فشربوها . . وبعد أن شربوها . . تزينت لهم الجريمة ففعلوها . . وفتحت السجون فدخلوها . . بأيدينا نحن لا بأيديهم هم . .

إنها حلقة مفرغة . . نأمرهم بما ننهاهم عنه ، وننهاهم عما نأمرهم به . . ونزجرهم عما ندعوهم إليه . . وندعوهم إلى ما نزجرهم عنه . . انعكاس وانتكاس . . وامتلأت الأرض بالمجرمين . .

فمن سمع أن البنت تخطف من بين والديها ، وتوضع فى سيارة ، ولا يعثر عليها إلا بعد أسبوع . . وقد نال منها المجرمون ما أرادوا . .

ومن قال إن المرأة تخطف من بين أولادها وزوجها . . ثم ترمى فى صحراء سيتى بعد أن ينال منها مختطفوها ما يشاءون . .

● ● ●

« جريمة بشعة »

ولقد جاءت امرأة تبكي إلى أحد العلماء تسأله في مسألة . . وقد ذابت خجلاً وحياء . . وحسرة . . قالت المرأة :

لقد حملت ابنتي من حرام . . فهل يصح لي أن أجهضها ؟

وأخذت تقص القصة . .

لقد عاد أبوها ذات مساء وهو سكران . . ولم يكن بالبيت سواها . . فواقعها رغماً عنها . . بعد أن شج رأسها وأدماها وهي تقاومه . . وشاء الله أن تحمل من الحرام ، وهي تسأل ماذا تفعل ؟ وما مصير هذا الجنين ؟!

هذه واقعة تحدث في العالم كل يوم . . بل كل ساعة . . فإلى متى ؟

إنها الخمر أم الخبائث . . إنها الخمر أم الفواحش ، وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه وخالته وعمته . . ولعن الله ناكح جزئه .

• • •

« أمريكا والخمر »

كل هذه الأضرار والمفاسد . . جعلت حكومة كأمريكا ، وهي رأس المدنية في العصر الحديث . . تسن قانوناً بتحريم الخمور . . وقد تحملت أمريكا في ذلك الكثير من الأموال والرجال . .

ولقد تكلف هذا القانون ٣٠٠ مليون جنيه ، و ٣٠٠ نفس ، ٦٠٠,٠٠٠ سجين ، وبلغت الغرامات ١٦ مليون جنيه . . كما صادرت من الأملاك ما يبلغ ٤٠٠ مليون جنيه ، وسخرت كل وسائل المدنية الحديثة لمحاربتها ، ومنع تداولها طيلة أربعة عشر عامًا . . دون جدوى . . فما زاد هذا . . الشعب الأمريكي إلا ولعاً بالخمر وإصراراً عليها . . حتى انهزمت الحكومة الأمريكية أمام الشعب الأمريكي . . فسحبت هذا القانون وأباحت الخمر . . فعاد إليها الشعب الأمريكي الذي لم يتركها . . عاد إليها شرهاً . .

وإذا كانت أمريكا لم تنجح في تحريمها بعد هذه الثورة فلأن قانونها وضعي . . وضعه بشر . . يصيب ويخطئ . . بشر يأمر بشراً . . وبشر ينهى بشراً . . ويظن أنه بالمال

يستطيع أن يوحد ويفرق ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُم ﴾(١) .

أما قانون السماء . . القانون السماوى . . عندما نزل بتحريمها . . تجنبها المسلمون « وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . . »(٢) .

فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال :

« ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذى تسمونه الفضيخ ، إنى لقائم أسقى أبا طلحة وأبا أيوب ورجالاً من أصحاب النبى (ﷺ) فى بيتنا ، إذ جاء رجل فقال : هل بلغكم الخبر ؟ فقلنا : لا ، فقال : إن الخمر قد حرمت . . فقال : يا أنس ، أرق هذه القلال . قال : فما سألوا عنها ، ولا راجعوها بعد خبر الرجل »(٣) .

إنه الإيمان الذى ملك القلوب .

إنه الإيمان الذى يصنع المعجزات .

إنه الإيمان الذى . . يزيل الجبال ولا يزول . .

إنه الإيمان . . الذى وقر فى القلب وصدقه العمل .

• • •

كيفية تحريم الخمر

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(٤) .

---

(١) ٦٣ الأنفال .
(٢) ٢٨٥ البقرة .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) ٩٠ ، ٩١ المائدة .

على ثلاث مرات

روى الإمام أحمد عن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال : حرمت الخمر ثلاث مرات ، قدم رسول الله (ﷺ) المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر ، فسألوا النبى (ﷺ) عنهما . . فأنزل الله ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾[1] . فقال الناس ما حرما علينا إنما قال : « فيهما إثم كبير ومنافع للناس » وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوماً من الأيام صلى رجل من المهاجرين ، أمَّ أصحابه فى المغرب ، فخلط فى قراءته . . فأنزل الله آية أشد منها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[2] .

فكان الناس يشربون حتى يأتى أحدهم الصلاة وهو مغبق . . ثم أنزلت آية أشد من ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3] . قالوا : انتهينا ربنا . . وقال الناس : يا رسول الله : ناس قتلوا فى سبيل الله . . وماتوا على فرسهم ، كانوا يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان ؟ . . فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا ﴾[4] . فقال النبى (ﷺ) : « لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم » .

وقال الإمام أحمد : يروى عن عمر بن الخطاب : أنه قال لما نزل تحريم الخمر . . قال : اللهم بيِّن لنا فى الخمر بياناً شافياً . . فنزلت الآية التى فى سورة البقرة ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ فدعى عمر فقرئت عليه . فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً. فنزلت الآية التى فى سورة النساء ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ فكان منادى رسول الله (ﷺ) إذا قال : حى على الصلاة نادى : لا يقربن الصلاة سكران. فدعى عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً. فنزلت الآية التى فى المائدة .

---

(١) ٢١٩ البقرة .
(٢) ٤٣ النساء .
(٣) ٩٠ المائدة .
(٤) ٩٣ المائدة .

فدعى عمر فقرئت عليه فلما بلغ قول الله تعالى ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ قال عمر : انتهينا .

وروى ابن عباس أنه كان لرسول الله (ﷺ) صديق من ثقيف لقيه يوم الفتح براوية خمر . . فقال له الرسول (ﷺ) : « يا فلان أما علمت أن الله حرمها » فأمر الرجل غلامه ببيعها . . فقال له الرسول (ﷺ) : « إن الذى حرم شربها حرم بيعها » . . فأمر بها فأفرغت فى البطحاء .

• • •

« قول مردود على أصحابه »

يقول بعض السفهاء إن الله لم يحرم الخمر . وإنما قال : فاجتنبوه . . فهل أنتم منتهون . . ولم يقل بتحريمها .

والمتأمل لمعنى كلمة . . الاجتناب . يجدها أشد من كلمة التحريم . . لاسيما وأنها من رب كريم حكيم عليم . .

فعندما يقول الله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ أى لا تقترب حتى من مقدمات هذا الزنى . . وهى أقوى من « لا تزنوا » . . أى أن مجرد القرب من هذا الزنا حرام . . فما بالنا بالوقوع فيه . . وبهذا حرم الله الزنا .

كذلك الخمر . . فاجتنابها أشد من تحريمها بمعنى أن اجتناب الشىء أشد من تحريمه . . فإذا قال الله : لا تشربوا الخمر . لكان يجوز لنا أن نجلس فى الحانة معهم . . وأن نصنعها ونبيعها ونأكل من ثمنها . كما كان يجوز لنا أن نهديها إلى أصحابنا ، ونقتنيها فى بيوتنا .

ولكن الحق سبحانه وتعالى قال : فاجتنبوه . . أى مجرد الجلوس معهم فى حانتهم حرام . . لأن الاجتناب يعنى اجتناب كل طريق يؤدى إليها ، واجتناب كل صديق يؤدى إليها . واجتناب كل مكان هى فيه . . وخير تفسير لهذا الاجتناب ما روى عن أنس (رضي الله عنه) قوله :

لعن رسول الله (ﷺ) فى الخمر عشرة :

« عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشتري لها ، والمشترى له » . .

أليس هذا الحديث دليلاً كافياً وتفسيراً شافياً . . لمعنى الاجتناب . . الذى يشمل التحريم والاقتراب . . ورداً على هؤلاء الزنادقة المسرفين . . هم ومن تبعهم . . ممن يتعاطون المخدرات كالحشيش مثلاً وإذ خاطبهم مخاطب . . قالوا له : إنه الحسيس « بالسين لا بالشين » الذى يربى الإحساس . . ويزكى الفؤاد ويجعل البديهة حاضرة . .

وهؤلاء السكيرة . . دائماً متفلسفون . . فهم يقولون . . لناصحهم . . حتى يشغلوه عن دعوته إليهم : إنه « أى الحشيش » ليس اسمه حشيشاً . . وإنما اسمه الحسيس . . وهو ليس بحرام . . فإذا ما أكدت لهم أنه حرام بالأحاديث . . قالوا لك : ائتنا بآية من القرآن تحمل تحريمه ؟ . . فإذا جئتهم بحديث . . قالوا لك . . بل أريد آية . . وملعون من قال أؤمن بالقرآن ولا أؤمن بالسنة . . وما السنة إلا تفصيل الكتاب لا ريب فيه . . فهل جاء فى كتاب الله : أن صلاة المغرب : ثلاث ركعات . . أو أن العشاء أربع ركعات . . ؟ كلا . . وإنما الذى وضح هذا سنة النبى (صلى الله عليه وسلم) . . التى هى النور والهدى للناس أجمعين لحديث النبى (ﷺ) : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به . . لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى »[1] .

هذا وقد أجمع جمهور العلماء وأئمة المسلمين على أنه :

من شرب الحشيش مستحلاً له ، فقد كفر .. لا يدفن في قبور المسلمين .: ولا يصلى عليه . .

ولقد قال علماء الحنفية :

« إن من قال بحل الحشيش زنديق مبتدع » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

«إن الحشيشة حرام ، يُحدُّ متناولها . . كما يحد شارب الخمر . ، وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج ؛ حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة ، وغير ذلك من الفساد ، وأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظاً أو معنى » . فقد قال رسول الله (ﷺ) :

* « كل مسكر حرام »[2] . وقال :

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأحمد .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

* « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » . وقال :

* « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ». وقال :

* « إن من الحنطة خمراً ، ومن الشعير خمراً ، ومن الزبيب خمراً ، ومن التمر خمراً ، ومن العسل خمراً ، وأنا أنهى عن كل مسكر. »

وقال (ﷺ) :

« ما أسكر كثيره فقليله حرام . . » .

ويقول الإمام الكبير ابن القيم (رحمه الله) فى كتابه زاد المعاد ؛

« إن الخمر يدخل فيها كل مسكر : مائعاً كان أو جامداً ، عصيراً أو مطبوخاً فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور - وكان ابن القيم يسمى الحشيش - لقمة الفسق والفجور لأن هذا كله خمر بنص حديث رسول الله (ﷺ) الصحيح الصريح الذى لا مطعن فى سنده ولا إجمال فى متنه ، إذ صح عنه قوله « كل مسكر خمر »

كما أنه صح عن أصحابه (رضي الله عنهم) الذين هم أعلم الناس بخطابه ومراده ، « بأن الخمر ما خامر العقل » .

على أنه لو لم يتناول لفظه (ﷺ) كل مسكر ؛ لكان القياس الصحيح الصريح الذى استوى فيه الأصل والفرع من كل جهة ، حاكماً بالتسوية بين أنواع المسكر ، فالتفريق بين نوع ونوع ، تفريق بين متماثلين من جميع الوجوه

وجاء عن الحافظ ابن حجر . . نقلاً :

أن من قال : إن الحشيشة لا تسكر . وإنما هى مخدر مكابر ، فإنها تحدث ما تحدثه الخمر من الطرب والنشوة » .

وقد جاء فى سبل السلام :

« أنه يحرم ما أسكر من أى شىء . وإن لم يكن مشروباً كالحشيشة »

كما ثبت طبياً: أن الحشيشة التى تزرع بأرض مصر هى أكثر أنواع الحشيش سكراً ومضرة إذا تناول منها المرء قدر رأس ذبابة . .

ولقد سمعت من صديق أمين أن رجلاً ممن يسرفون فى تعاطى الحشيش أصيب بمرض خطير جعله يتقيأ صديداً أسوداً . . ويصرخ كلما جاءته هذه النوبة صرخة . تجمع

البعيد والقريب ولقد حار فيه الأطباء دون جدوى . . وما زال يعانى من هذه الحالة . . بين الحياة والموت فلا هو يعيش فيستريح ولا هو يموت فيستريح . .

هذا حتى نعلم أن مفاسد وأخطار هذه المخدرات وأضرارها . . لا تحصى ولا تعد ومن أفتى بحلها . . فهو زنديق مبتدع . . من الذين يفترون على الله الكذب ، ويقولون على الله ما لا يعلمون . .

وإذا كان الخمر حراماً وأضراره لا تحصى . . فإن الحشيش حرام وأضراره لا تعد . . وإذا كان الخمر والحشيش محرمين وأضرارهما لا تعد . . فإن الأفيون حرام وأضراره لا تحصى ولا تعد . .

وليست العبرة بالأسماء . . وإنما العبرة بالمسكر ذاته . . فأى شيء يسكر . . فهو حرام . . شكلاً وموضوعاً . . لفظاً ومعنى . .

وقد تنشأ أسماء جديدة وسوف يكون هذا . . فما أسكر كثيره فقليله حرام . بنص حديث مسك الختام محمد (ﷺ) :

« ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

• • •

« حبوب الإجرام »

ونسمع هذه الأيام عن « حبوب الإجرام » التى ظهرت بين أيدى الشباب من إخواننا وأبنائنا . . وأقول وأحذر : إنها « حبوب الآلام » . . « حبوب الأورام » . . « حبوب الأسقام » . . «حبوب الدمار» . . والقلق والاكتئاب وفساد المزاج ، التى ليس لها علاج . .

فعلى شبابنا المسلم أن يحافظ على نفسه وأن يحافظ على دينه وإيمانه ، وليعلم أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً . . وأن العقل السليم في الجسم السليم ، وأن القلب السليم فى الخلق العظيم .. وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. وأن من زرع صباراً لا يمكن أن يحصد شهداً أبداً .. فازرع في جسدك ما تحب أن تحصد غداً . .

• • •

« عقوبة شارب الخمر »

قال رسول الله (ﷺ) :

« من شرب الخمر فاجلدوه ؛ فإن عاد فاجلدوه ؛ فإن عاد فاجلدوه ؛ فإن عاد فاقتلوه » .

فأتى برجل قد شرب فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ثم أتى به فجلده . . ورفع القتل ، وكانت رخصة . .

• • •

« حد شارب الخمر »

عن أنس (رضي الله عنه) قال :

أتى رسول الله (ﷺ) برجل قد شرب الخمر ، فضربه بالنعال نحواً من أربعين ثم أتى به أبو بكر . فصنع مثل ذلك . ثم أتى به عمر فاستشار الناس فى الحدود . فقال عبد الرحمن بن عوف :

« أقل الحدود ثمانون »

فضربه عمر ثمانين جلدة . . وكتب به إلى خالد وأبى عبيدة بالشام

• • •

« ثبوت الحد »

يثبت الحد بأحد أمرين :

١ - الإقرار : وهو اعتراف الشارب بأنه شرب الخمر

٢ - الشهادة : وهى شهادة شاهدين عدلين .

• • •

« شروط إقامة الحد »

يشترط لإقامة الحد على شارب الخمر . . الشروط الآتية :

١ – العقل : أن يكون عاقلاً . . غير مجنون ولا معتوه .

٢ – البلوغ : أن يكون بالغاً . . بلغ سن التكليف .

٣ – الاختيار : أن يكون قد شربها باختياره دون إكراه بتهديد بقتل أو ضرب أو خطر ، أو خلافه . . وإلا رفع عنه الإثم ، لحديث النبى (ﷺ) :

« رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه » .

والضرورات تبيح المحظورات :

يقول تعالى : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه .. إن الله غفور رحيم ﴾ .

٤ – العلم : أن يكون على علم بأن ما يشربه خمر ، فإن جهل أنه خمر فلا لوم عليه . . أما إذا اشتبه فيه ، درأنا الحدود بالشبهات . . يستوى فى إقامة الحد : الحر والعبد . . المسلم والكافر ما داموا جميعاً فى أرض الإسلام . . لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . . إلا أن عقوبة العبد على النصف من عقوبة الحر ، فيكون حده عشرين أو أربعين بحسب تقدير العقوبة .

● ● ●

« ثمرات النخيل والأعناب »

قال تعالى :

﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] .

« ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً » دل على إباحته شرعًا قبل تحريمه . . ودل على التسوية بين المسكر المتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والشافعى وأحمد وجمهور العلماء ، وكذا حكم سائر الأشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل . . كما جاءت السنة بتفصيل ذلك ، وليس هذا موضع بسط ذلك . .

---

(١) ٦٧ النحل .

كما قال ابن عباس فى قوله « سكراً ورزقاً حسناً » قال : السكر ما حرم من ثمرتيهما . . والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما . . وفى رواية : السكر حرامه ، والرزق الحسن حلاله . يعنى ما يبس منهما من تمر وزبيب وما عمل منهما من طلاء وهو الدبس . . وخل ونبيذ حلال يشرب قبل أن يشتد . . كما وردت السنة بذلك «**إن في ذلك لآية لقوم يعقلون**» ناسب ذكر العقل ههنا ، فإنه أشرف ما فى الإنسان ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها

قال تعالى

* ﴿ وجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وأَعْنَابٍ وفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ ومَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ ومِنْ أَنفُسِهِمْ ومِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾(1)

• • •

« شرب العصير والنبيذ قبل اختماره »

يجوز شرب العصير والنبيذ قبل غليانه واختماره

فقد روى أبو هريرة (رضي الله عنه) فقال

علمت أن النبى (ﷺ) كان يصوم ؛ فتحينت قطرة بنبيذ صنعته فى دباء ؛ ثم أتيته به ، فإذا هو ينش فقال :

اضرب بهذا الحائط ؛ فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر

• • •

(1) ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ يس .

« اشربه ما لم يأخذه شيطانه »

عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال :

أنه كان ينقع للنبى (ﷺ) الزبيب فيشربه اليوم والغد وبعد الغد ؛ إلى مساء الثالثة . ثم يأمر به فيسقى الخادم أو يهرق .

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال :

« اشربه ما لم يأخذه شيطانه ، قيل : وفي كم يأخذه شيطانه ؟ قال : في ثلاث » .

وسيرة النبى (ﷺ) العطرة تبين لنا أنه (ﷺ) لم يشرب الخمر قط ؛ لا قبل البعثة ، ولا بعدها . . وإنما كان يشرب من هذا النبيذ الذى لم يتخمر بعد . .

• • •

« أبو بكر والخمر »

ولم يؤثر عن أبى بكر (رضي الله عنه) أنه شرب الخمر لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام . . وعندما سئل عن ذلك قال :

« أنا إنسان أصون عرضى . . وشارب الخمر لا يصون عرضه » .

• • •

« التائب من الذنب كمن لا ذنب له »

يروى أن رجلاً كان كلما أذنب . . يكتب ذنبه فى ديوان . . فأذنب يوماً ما ذنبًا فنشر ديوانه ليكتبه فيه . . فلم يجد فيه إلا قوله تعالى :

﴿فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾(١) .

يعنى يبدل الله مكان الشرك الإيمان . . ومكان الزنا العفو . . ومكان المعصية العصمة والطاعة . .

---

(١) ٧٠ الفرقان .

وذات يوم مر عمر (رضي الله عنه) على شاب يحمل قارورة تحت ثيابه . . فقال عمر : أيها الشاب . . ما الذى تحمل تحت ثيابك ؟ . . وكان فيها خمر . . فخجل الشاب أن يقول خمراً . . وقال فى سره : إلهى لا تخذلنى أمام عمر . . واسترنى ولا تفضحنى . . فلا أشرب الخمر بعد اليوم أبداً . . ثم قال : يا أمير المؤمنين . . الذى أحمله هو : خل . فقال عمر : أرنى حتى أراها . . فكشفها بين يديه . . فرآها عمر صارت خلاً . . فانظر إلى مخلوق تاب من خوف مخلوق . . فبدل الله سبحانه وتعالى خمره بالخل . . لما علم منه إخلاص التوبة . . فلو تاب العاصى من دنوبه توبة نصوحاً . . وندم على ذنبه لبدل الله تعالى خمر سيئاته بخل الطاعة . . وعسل المغفرة

• • •

« إن كان حرامًا .. نحن حرقناه
وإن كان حلالاً .. نحن شربناه »

وذات يوم كنت على سفر من الزقازيق إلى الإسكندرية وركبت سيارة وكان بجانبى شاب فى الثلاثين من عمره يعمل مستورد نظارات . . وكان فى طريقه إلى الإسكندرية ليستقبل مركبًا قادماً إليه هناك وما إن تحركت السيارة حتى أخرج من جيبه سيجارة تلو سيجارة وطلب من السائق مسماراً . فأومأ له السائق ثم أوقف السيارة أمام أحد المحال التجارية وأحضر مسماراً . . وأعطاه للشاب . . فأخذ الشاب المسمار وظل يدخله فى السيجارة واحدة بعد الأخرى . حتى أحدث فى كل سيجارة قناة فى وسطها . . فاستغربت لهذا .

وانتظرت لأرى ماذا يفعل . . فإذ به يخرج قطعة أشبه بطين الصلصال . . ويفتلها كالشعرية . . ويضعها فى كل سيجارة . ثم يشعلها ويعطى السائق واحدة ويشرب الأخرى . .

• • •

« حوار مع سكير انتهى بتوبته »

فسألته ما هذا ؟

فقال : ألا تدرى ما هذا ؟

قلت له : لا والله لا أدرى . .

قال لى : هذا هو الحسيس . . (بالسين) . .

قلت له : تقصد الحشيش . .

فقال لى : لا . . إن اسمه حسيس (بالسين) لأنه يربى الإحساس ويجعل الإنسان حساساً . . وكانت هذه أول مرة أرى فيها الحشيش . . وأسمع هذا الكلام الغريب . .

قلت له : ولكن هذا حرام . .

قال لى : لا . . ليس بحرام . . وإلا فهات لى آية من القرآن الكريم تحرم الحشيش . .

فقلت له : ما أسكر كثيره فقليله حرام . . إلخ هذه الأحاديث . .

كما ذكرت له حديث جمهور العلماء :

« من شرب الحشيش مستحلاً له . . فقد كفر . . لا يدفن فى قبور المسلمين ولا يصلى عليه . . » .

فقال لى : هات لى آية . . وأنا أمنعه فوراً . . « وعموماً إن كان حراماً نحن حرقناه . . وإن كان حلالاً نحن شربناه » .

فقلت له : إن أحاديث النبى (ﷺ) وحي من عند الله تعالى . .

فقال : أريد آية . .

فقلت له : هل تصلى ؟

قال : نعم . .

فقلت له : كم ركعة تصلى المغرب ؟

قال : ثلاث ركعات . .

فقلت له : أريد آية من القرآن تقول : إن المغرب ثلاث ركعات . .

فبهت . . ولم يستطع الكلام . .

فقلت له : هل تصلى الصبح ؟

قال : نعم .

قلت له : كم ركعة تصلى الصبح ؟

قال : ركعتين . .

قلت له : ائتنى بآية من القرآن تؤكد أن الصبح ركعتان . .

فبهت . .

فقلت له : لقد جاء فى الأثر : ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم :

١ - من قال أطيع الله ولا أطيع الرسول . . والله يقول :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾(١) .

٢ - ومن قال أطيع الله ولا أطيع والدى ، . . والله يقول :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(٢) .

٣ - ومن قال أقيم الصلاة ولا آتى الزكاة . . والله يقول :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾(٣) .

فالقرآن إجمال . . والسنة تفصيل . . والله يقول : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(٤) .

فلابد أن تؤمن بهذا وذاك . . حتى يكتمل إيمانك . .

ثم قلت له : أتشرب الحشيش كل يوم ؟

قال : نعم . .

قلت له : بكم تشترى كل يوم ؟

قال : أنا لا أشترى الحشيش . . ولكن لى أخ يرسل إلى كل أسبوع كمية . .

فقلت له : اتق الله . . فإنه اللقمة الملعونة . . اللقمة الخبيثة . . إنه خبث ورذيلة . .

فقال لى : أعاهدك ألا أقترب منه بعد اليوم . !

• • •

---

(١) ٩٢ المائدة .

(٢) ٢٣ الإسراء .

(٣) ٥٦ النور .

(٤) ٧ الحشر .

« يسألونك عن الخمر والميسر »

يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[1] .

وهذه الآيات التى بين أيدينا من سورة المائدة . . وهى من السور المدنية الطويلة التى تناولت كسائر السور المدنية ، جانب التشريع بإسهاب ، مثل سورة البقرة ، والنساء ، والأنفال ، إلى جانب موضوع العقيدة ، وقصص أهل الكتاب . . وهى آخر ما نزل من القرآن ، وليس فيها منسوخ ، وفيها ثمان عشرة فريضة .

ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) :

أنزلت على رسول الله (ﷺ) سورة المائدة ، وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله . . فنزل عنها . .

وسميت سورة المائدة بهذا الاسم . . لورود ذكر المائدة فيها ، حيث طلب الحواريون من عيسى عليه السلام آية تدل على صدق نبوته ، وتكون لهم عيداً وقصتها أعجب ما ذكر فيها لاشتمالها على آيات كثيرة ، ولطف عظيم من الله العلى العظيم .

يقول تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ﴾ :

الخمر : جميع الأشربة التى تسكر ، والميسر : القمار . . كانوا يتقامرون به فى الجاهلية .

﴿ والأنصاب والأزلام ﴾ :

أى : الأصنام المنصوبة للعبادة . . والأقداح التى كانت عند سدنة البيت . . وخدام الأصنام . .

---

(١) ٩٠ ، ٩١ المائدة .

قال ابن عباس : الأنصاب حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها . . والأزلام : قداح كانوا يستقسمون بها . .

﴿ رجس من عمل الشيطان ﴾ :

أى : قذر ونجس تعافه العقول ، وخبيث مستقذر من تزيين الشيطان . .

﴿ فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ :

أى : اتركوه وكونوا فى جانب آخر بعيدين عنه . . لتفوزوا بالثواب العظيم . .

﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ﴾ :

أى : ما يريد الشيطان بهذه الرذائل إلا إيقاع العداوة والبغضاء . . بين المؤمنين فى شربهم الخمر ولعبهم بالقمار . .

﴿ ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ :

أى : ويمنعكم بالخمر والميسر . . عن ذكر الله الذى به صلاح دنياكم وأخراكم . . وعن الصلاة التى هى عماد دينكم .

﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ :

الصيغة للاستفهام . . ومعناه الأمر . أى انتهوا . . ولذلك قال عمر : انتهينا ربنا . . انتهينا .

ثلاث آيات نزلت فى الخمر :

أولها : تقبيم . ثانيها : تقويم . ثالثها : تحريم

قال تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[1] .

فكان هذا جواباً شافياً لسؤال المسلمين عنها . . وتقبيماً للخمر ، وبياناً لما فيها من الإثم الذى يجاوز النفع . . فشربها من شربها ، وتركها من تركها . . إلى أن شرب رجل الخمر ، ودخل فى الصلاة . . وهو سكران . فقرأ :

---

(1) ٢١٩ البقرة .

يا أيها الكافرون ، أعبد ما تعبدون . دون ذكر النفى . . فنزل قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون . . ﴾ .

فكانت هذه الآية تقويماً للمسلمين . . وتمهيداً لتحريمها نهائياً . . حتى نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[1] .

ويقول رسول الله (ﷺ) :

« لا يدخل الجنة مدمن خمر . . ومن شرب الخمر فى الدنيا ، لم يشربها فى الآخرة وإن دخل الجنة . وأول ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان ، عن شرب الخمر ، وملاحاة الرجال . وما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا إلا جمعهم الله في النار . . فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون . . فيقول أحدهم للآخر : يا فلان . . لا جزاك الله عنى خيراً . . فأنت الذى أوردتنى هذا المورد . . فيقول له الآخر : مثل ذلك .

ومن شرب الخمر فى الدنيا . . سقاه الله من سم الأساود شربة يتساقط منها لحم وجهه فى الإناء . . قبل أن يشربها . . فإذا شربها تساقط لحم وجهه وجلده ، يتأذى به أهل النار . ألا إن شاربها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها ، شركاء فى إثمها . . لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوماً ، ولا حجاً . . حتى يتوبوا ، فإن ماتوا قبل التوبة . . كان حقاً على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم . ألا وإن كل مسكر خمر . . وكل خمر حرام . وما أسكر كثيره . . فقليله حرام» . .

وقد حرم الإسلام الخمر ليس حرماناً للمسلم من شيء فيه منفعة . . وإنما خوفاً على العقل أن يضل ، والشخصية أن تميع ، والبهاء أن يذهب ، والرجولة أن تضيع .

فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن النبى (ﷺ) قال :

« الخمر أم الخبائث . . الخمر أم الفواحش . . وأكبر الكبائر . ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه وخالته وعمته » . .

وقد ورد أن عثمان بن عفان . . قام خطيباً . . فقال :

---

(١) ٩٠ ، ٩١ المائدة .

« أيها الناس . . اتقوا الخمر فإنها أم الخبائث . . فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس . . فعلقته امرأة . . فأرسلت إليه خادماً . . إنا ندعوك لشهادة . . فدخل . . فطفقت كلما يدخل باباً أغلقته دونه . . حتى إذ أفضى إلى سيدة جميلة وضيئة جالسة . . وعندها غلام . . وزجاجة خمر . . فقالت له : إنا لم ندعك لشهادة . . ولكنى دعوتك لقتل هذا الغلام ، أو تشرب معى كأس خمر ، أو تواقعنى ، فإن أبيت صحت بك وفضحتك . . قال :

فلما رأى أنه لابد من ذلك . . قال : أما القتل فلا أفعله ، وأم الفاحشة فلا آتيها . . اسقينى كأساً من خمر . . فسقته كأساً من خمر ، فلعبت برأسه فبكى الغلام فقتله ، فلم تزل به حتى واقعها . . فاجتنبوا الخمر ، فإنه والله لا يجتمع الإيمان والخمر فى صدر رجل أبداً . . إلا ويوشك أحدهما أن يخرج صاحبه »

وقد يسأل سائل ويقول

قال الله فاجتنبوه . . ولم يقل بالتحريم فنقول

إن اجتناب الشيء أشد من تحريمه ، فإذا قال الله لا تشربوا الخمر ، لكان يجوز لنا أن نجلس فى الحانة معهم ، وأن نصنعها ، وأن نبيعها ، وأن نأكل ثمنها . . بل كان يجوز لنا أن نهديها إلى أصحابنا ، وأن نقتنيها فى بيوتنا . . ولكن الله سبحانه وتعالى قال : فاجتنبوه . . أى : مجرد الجلوس معهم فى حاناتهم حرام ، لأن الاجتناب . يعنى اجتناب كل شيء يؤدى إليها ، واجتناب كل طريق يؤدى إليها ، واجتناب كل صديق يؤدى إليها ، واجتناب كل مكان هى فيه وخير تفسير لمعنى الاجتناب ، حديث النبى (ﷺ) :

لعن رسول الله (ﷺ) فى الخمر عشرًا :

« عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشترى لها ، والمشترى له » .

ويدخل فى الخمور :

الحشيش ، والأفيون ، والسموم البيضاء ، والباجو . . إلى آخر ما يستجد من أسماء . . فليست العبرة بالأسماء . . وإنما العبرة بالأشياء . . وليست العبرة بالأسماء . . وإنما العبرة بالمسميات . .

ويرى جمهور العلماء أن :

من شرب الحشيش مستحلاً له ، فقد كفر ، لا يدفن فى قبور لمسلمين ، ولا يصلى عليه .

وأما شرب هذه الأشياء للتداوى بها . . فحرام لحديث النبى (ﷺ) :

« ما جعل الله شفاءكم فى حرام »[1] . فإن ما أفسد العقل ، يحرم تناوله مأكولاً كان أو مشروباً .

وقد أثبت الطب الحديث : أن الأشخاص الذين يتعاطون الخمور والمخدرات . . أكثر استعداداً للمرض ، وأقل مقاومة له . . كما أن الخمر تعد من أسباب الإجهاض المباشرة ، وأسباب التشوهات الخلقية عند الجنين ، فضلاً عن العلات الخلقية التى تنتقل إليه من نطفة أبيه ، وكم نسمع عن حوادث أودت بحياة الأبرياء ، وأهلكت الأموال والأحوال . . وكان وراءها سكران من هؤلاء الذين لا خلق لهم ولا دين ، كما أن الخمر نذير شؤم وفقر . . فما دخل الخمر إلى بيت إلا وقال له الفقر : خذنى معك . . فهى نذير فقر وشؤم وعوز وإذلال .

• • •

« العقل السليم فى الجسم السليم »

إن الجـــواهـر أربـــع	هـــن الســعـــادة والنعـيم
العـــقل والجـــسم السليـم	والـديـــن والخلـــق القـــويم
مـــا دونـهـن مـظـاهـــر	ومظـاهـــر الدنيـــا هـمـــوم
لا يصلـح الجـيـــل الجـــديد	بغـيـــر مـــا صلـح القـديم
لا يســتـجيـب لحـفظهـــن	مـــن الـــورى إلا كـــريم
أويرفـــضن ضـيـــاءهن	بـــلا نـهـــى إلا لـئـــيم
إن الســـمـــوم تسلـلـــت	وإذا تسلـلـــت الســمـــوم
اســتـعـمـرت أجـســامنا	واحـتلنـا منهـا الخـصـوم(*)

---

(١) رواه أحمد وغيره .

(*) من شعر المؤلف .

ويقول الهادى البشير (ﷺ) :

* « ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا . . إلا جمعهم الله فى النار يوم القيامة »[1] .

* « إنه ليس بدواء ولكنه داء »[2] .

* « إن الله أنزل الداء والدواء . . فجعل لكل داء دواء . . فتداووا . . ولا تتداووا بحرام »[3] .

ويقول الإمام علي (كرم الله وجهه) :

* « يا دنيا غُري غيري ، ألي تعرضت ، أم إليّ تشوقت . . هيهات هيهات قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها . . فعمري قصير . . وخطرك حقير » . .

ويقولون :

* « ما قام الباطل إلا لغفلة أهل الحق » .

* « ارفع علم الحق يتبعك أهله » .

* « لا دواء فى حرام » .

هـذا . .

* و « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع :

١ - عن عمره فيم أفناه ؟

٢ - وعن شبابه فيم أبلاه ؟

٣ - وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟

٤ - وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ »[4] .

● ● ●

(١) رواه ابن حبان .
(٢) رواه أحمد وغيره .
(٣) رواه أبوداود .
(٤) رواه الترمذى .

« العقل السليم فى الجسم السليم
والجسم السليم فى العقل السليم »

يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[١] .

ويقول المصطفى (ﷺ) :

* « كل مسكر خمر . . وكل خمر حرام »[٢] .
* « ما أسكر كثيره فقليله حرام »[٣] .
* « كل مسكر حرام »[٤] .

● ● ●

« أثر الخمور والمخدرات على الفرد والمجتمع »

إن الخمور بشتى أنواعها . . والمخدرات بكافة صورها . . أصبحت فى هذا العصر . . وسيلة من وسائل الحروب الحديثة ضد الشعوب . . للقضاء على الشباب الذين هم عدة الأمة وعتادها . . فإذا ضرب الشباب فى أى أمة من الأمم . . فقد ضربت فى مقتل . . وانهارت قواها وخارت . . وهوت إلى الهلاك والدمار . .

فإن تعاطى الخمور والمخدرات أو شيء منها . . يجعل الشخصية تضيع . . والمروءة تميع . . والقدرة على العمل والحركة تفتر . . والغيرة على الشرف والكرامة تمحى . . ويصير صاحبها خائراً ضائعاً واهناً مضطرباً . . ينطبق عليه قول الشاعر :

شربت الخمر حتى ضل عقلى   كذاك الخمر تفعل بالعقول

● ● ●

---

(١) ٩٠ - ٩١ المائدة .
(٢) رواه الترمذى وغيره .
(٣) رواه أحمد وغيره .
(٤) رواه الحاكم وغيره .

« السبب العلمى وراء تحريم الخمور والمخدرات »

إن السبب العلمى وراء تحريم المخدرات والخمور بشتى أنواعها وكافة صورها يرجع إلى الكحول .. فالكحول هو سبب تحريم الخمور .. وهو نفس السبب فى تحريم المخدرات .. لأنه يضرب الغدة النخامية .. التى هى مايسترو الجسم .. فإذا ضربت الغدة النخامية .. ضربت سائر الغدد فى الجسم واضطربت الحواس فى جسم الإنسان .. هذا ما ثبت علمياً حتى الآن .. وما خفى كان أعظم ..

● ● ●

« الرأى الشرعى فى الجرم الذى يرتكبه المتعاطى فى حق نفسه وأمته »

وقد أجمع جمهور العلماء : على أنه من شرب الحشيش والمخدرات والسموم البيضاء والخمور على مختلف ألوانها وتسمياتها ما ظهر منها وما لم يظهر .. من شرب شيئاً من هذه السموم .. مستحلاً لها .. فقد كفر .. لا يدفن فى قبور المسلمين .. ولا يصلى عليه ..

وقد شبه العلماء .. الحشيش والأفيون ، والمخدرات ، والسموم البيضاء ، والخمور بشتى أنواعها : باللقمة الخبيثة .. واللقمة الملعونة .. لأنها لو تمكنت من جمل لقتلته ..

هذا .. ومن شرب الخمور تحت أى مسمى .. أو شيئاً منها .. ومن شرب المخدرات تحت أى دعوى .. أو شيئاً منها .. وقع على أمه وأخته وعمته .. لأنه يفقد عقله .. ويفقد نفسه .. ويفقد حاضره .. ويفقد مستقبله .. فالعقل السليم فى الجسم السليم .. والجسم السليم فى العقل السليم ..

● ● ●

الجواهر الأربع

إن الجواهر أربع — هن السعادة والنعيم
الدين والخلق القويم — والعقل والجسم السليم
ما دونهن مظاهر — ومظاهر الدنيا هموم
لا يستجيب لحفظهن — من الورى إلا كريم
أويرفضن ضياءهن — بلا نهى إلا لئيم
لا يصلح الجيل الجديد — بغير ما صلح القديم

هـذا . .

وإن هناك من يقول :

أنا لا أوذى أحداً . . فكيف تكون حرامًا ؟

نقول له :

لقد آذيت وأُوذيت . .

وهناك بعض المتعاطين يقولو ن :

إنهم لا يضرون أحداً . . وهذا يخصهم وحدهم . . وإن هذه حرية . . فكيف تكون حراماً ؟

نقول لهم :

لقد آذيتم وأُوذيتم .

وقد ورد أن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) خطب المسلمين ذات يوم . . فقال : أيها الناس « اتقوا الخمر فإنها أم الخبائث » . . وأنه كان فيمن كان قبلكم رجل دعته امرأة وأرسلت إليه خادمها وقالت له : إنا ندعوك لشهادة . . فدخل . . وطفق كلما دخل باباً أغلق دونه . . حتى دخل من سبعة أبواب . . فوجد امرأة وضيئة جميلة . . ووجد عندها صبياً . . ووجد كأساً من خمر . . فقالت له :

إنا لم ندعك لشهادة . . ولكنى دعوتك لتواقعنى . . أو تقتل هـذا الصبى . . أو تشرب كأس الخمر . . وإلا صرخت بأعلى صوتى . . وجمعت عليك الناس ليقتلوك . . فلم يجد الرجل بداً . . فقال لها :

أما الفاحشة فأنا لا آتيها . . وأما القتل فأنا لا أفعله . . فشرب الخمر فلعبت برأسه . . فجملت المرأة فى عينيه فواقعها . . وبكى الصبى فقتله . . فاتقوا الخمر فإنها أم الخبائث . .

فالخمور والمخدرات فى شتى أنواعها وكافة صورها . . ملعونة فى كل الأديان محرمة فيها . . مما حدا بالدول المتقدمة . . أن تحرمها تحريماً مطلقاً . . بعد أن خربت الديار . . وعم الدمار . . على كل دار . .

مما حدا بالدول الأوربية . . أن تسن القوانين . . وترصد الملايين . . لمنعها منعاً باتاً . . بعد أن تبين أن أكثر من مائة مليون . . قد ماتوا من جراء تعاطى هذه المخدرات والخمور . . فقد تم ضبط أكثر من ألفى سائق فى حالة سكر . . أثناء وقوع هذه الحوادث فى بعض المدن الأوربية . . هذا فضلاً عن المتعاطين أنفسهم . .

« تجربة من الحياة يستفيد منها الشباب »

هـذا . .

ولا أنسى يوماً وأنا عـائد من سـفـر . . وفى الطريق . . وبعـد منتـصف الليل . . استوقـفنى رجل . . فـوقـفت له . . وركب مـعى . . وبعـد أن سرت به . . سألنى : لم وقفت لى ؟ فأدهشنى سؤاله . . وصمت . . فقال لى : لله . . قلت له : الله أعلم . . قال لى : لا تفعل لله ليلاً . . قلت له : لماذا ؟ قال لى :

إنه يعمل على طريق كذا وكذا . . وذات يوم وفى أثناء عودته ليلاً . . وبعد منتصف الليل . . استوقفه رجل ومعه حقيبة . . فظن أنه مسافر ضل به الطريق . . أو تقطعت به السبل . . أو عائد من سفر بعيد . . فوقف له وركب خلفه . . وما إن سار به حتى أخرج الرجل سلاحه ووضعه فى رقبة السائق . . وقال له : هيا . . ولا تنظر خلفك . . ولا تنظر يميناً ولا يساراً . . وأخبره أنه تاجر مخدرات . . وهـذه الحقيبة التى معه بها مخدرات . . فلا تنظر هنا ولا هناك . . وظل يأمره . . يميناً وشمالاً . . حتى وصلا إلى طريق مسدود وأرض خراب . . ثم قال له : قف هنا . . ونزل الرجل . . ورمى له مبلغاً من المال . . وقال له : هيا انصرف ولا تنظر خلفك . .

هذه القصة أقصها على الشباب ليأخذ حذره . . فإن ابن الحرام لم يترك شيئاً لابن الحلال إلا تسلل إليه منه . . ودخل إليه فيه . . فليأخذ الشباب حذره قبل فوات الأوان وحلول الهوان . .

واحذر أن يعطيك أحد شيئاً . . ولو كان ثميناً . . فقد يكون وراءه هدف أثمن . .

واحـــذر عـدوك مـــرة   واحـذر صديقـك ألف مرة

فلربمـا انقلـب الصـديق   فكـان أعـلم بالمضــــرة

• • •

« حكم الخمور فى الأديان جميعاً »

هـذا . .

واعلم أن هذه الخمور والمخدرات بكافة ألوانها واختلاف صورها . . ملعونة فى شتى الديانات والكتب السماوية . . وقد لعنها رسول الله (ﷺ) فى عشرة وجوه :

« فى عاصرها ، ومعتصرها ، وصانعها ، وآكل ثمنها ، وبائعها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيها ، والمشترى لها ، والمشترى له » .

• • •

« هل يجوز التداوى بها أو التدفئة فى المناطق الباردة ؟ »

هـذا .

وقد يزعم بعض الناس أو يدعى : أنه يتناول هذه الخمور . . أو تلك المخدرات للعلاج . . أو للتدفئة . . فلا جديد تحت الشمس . . فقد سئل رسول الله (ﷺ) عن رجل يشربها للعلاج والشفاء . . فقال (ﷺ) :

« ما جعل الله شفاءكم في حرام » .

وسأله آخر . . وقال : يا رسول الله . . إننا فى إقليم شديد البرد . . ونشربها لنستدفئ بها . . فقال (ﷺ) : أمسكر هو ؟ قال : مسكر !! قال (ﷺ) : «ما أسكر كثيره.. فقليله حرام . . » .

وهذ مبدأ عام . .

ويقول الهادى (ﷺ):

* « اعقلها وتوكل »[1] .

* « لا عقل كالتدبير . . ولا ورع كالكف . . ولا حسب كحسن الخلق »[2] .

---

(١) رواه أحمد .　　(٢) رواه الترمذى .

* « أول ما خلق الله العقـل . . ثم قال له : أقبـل فأقبـل . . ثم قال له : أدبر فأدبر . . ثم قال له : وعزتى وجلالى . . ما خلقت خلقاً أعز علىّ منك . . فبك أعطي وبك آخذ . . وبك أثيب وبك أعاقب »[1] .

ويقولون :

* « العقل السليم فى الجسم السليم . . والجسم السليم فى العقل السليم » .

* « يهدم الصدر الضيق . . ما يبنى العقل الواسع » .

* « فالعقل والدين . . العقل والدين . . العقل والدين » .

■ ● ■ ● ■

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره .

المراجـــع

١ – القرآن الكريم .

٢ – المعجم المفهرس

٣ – تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) .

٤ – تفسير فى ظلال القرآن (للشهيد سيد قطب)

٥ – تفسيرا لقرطبى

٦ – تفسير الجلالين .

٧ – تفسير أبى السعود .

٨ – تفسير المنار (للشيخ رشيد رضا) .

٩ – صفوة التفاسير (للشيخ محمد على الصابونى)

١٠ – تفسير الطبرى .

١١ – فتح البارى شرح صحيح البخارى

١٢ – صحيح مسلم .

١٣ – مسند الإمام أحمد

١٤ – سنن أبى داود .

١٥ – زاد المعاد (لابن القيم) .

١٦ – الترغيب والترهيب (للمنذرى) .

١٧ – الدين الخالص (محمود خطاب السبكى)

١٨ – فقه السيرة (للبوطى) .

١٩ – فقه السنة (السيد سابق) .

٢٠ – الفقه على المذاهب الأربعة .

٢١ – إحياء علوم الدين (للغزالى) .

٢٢ – مقدمة ابن خلدون

٢٣ – أحكام القرآن (لابن العربى) .

٢٤ – لسان العرب (لابن منظور) .

٢٥ – مختار الصحاح (للرازى) .

٢٦ – المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) .

٢٧ – مفردات القرآن (للأصفهانى) .

٢٨ – البداية والنهاية (لابن كثير).

٢٩ – الأحـاديث القـدسـيـة (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) .

٣٠ – رياض الصالحين (للنووى) .

٣١ – الموطأ (للإمام مالك) .

٣٢ – الدر المنثور (للسيوطى) .

٣٣ – الدرارى المضيئة (للشوكانى) .

٣٤ – فضائل القرآن (لابن كثير) .

٣٥ – روح المعانى (للألوسى) .

٣٦ – الروح (لابن القيم) .

٣٧ – الأذكار (للنووى) .

٣٨ – الجواب الكافى (لابن القيم الجوزية)

٣٩ – صيد الخطر (لابن الجوزى) .

٤٠ – غاية الحكيم (لمسلمة ابن أحمد) .

٤١ – مكاشفة القلوب (للغزالى) .

٤٢ – مفتاح السعادة (لابن القيم) .

٤٣ – الطب النبوى (لابن القيم) .

٤٤ – خزانة الأدب (للبغدادى) .

٤٥ – من وصايا القرآن (دار التراث العربى) .

٤٦ – تفسير الأحلام (لابن سيرين) .

٤٧ – تفسير الأحلام (للنابلسى)

٤٨ – فى رحمة الله (للمؤلف) .

٤٩ – حديقة الأولياء (للمؤلف) .

٥٠ – لآلئ ودرر من عدالة عمر (للمؤلف) .

٥١ – لؤلؤ ومرجان (للمؤلف) .

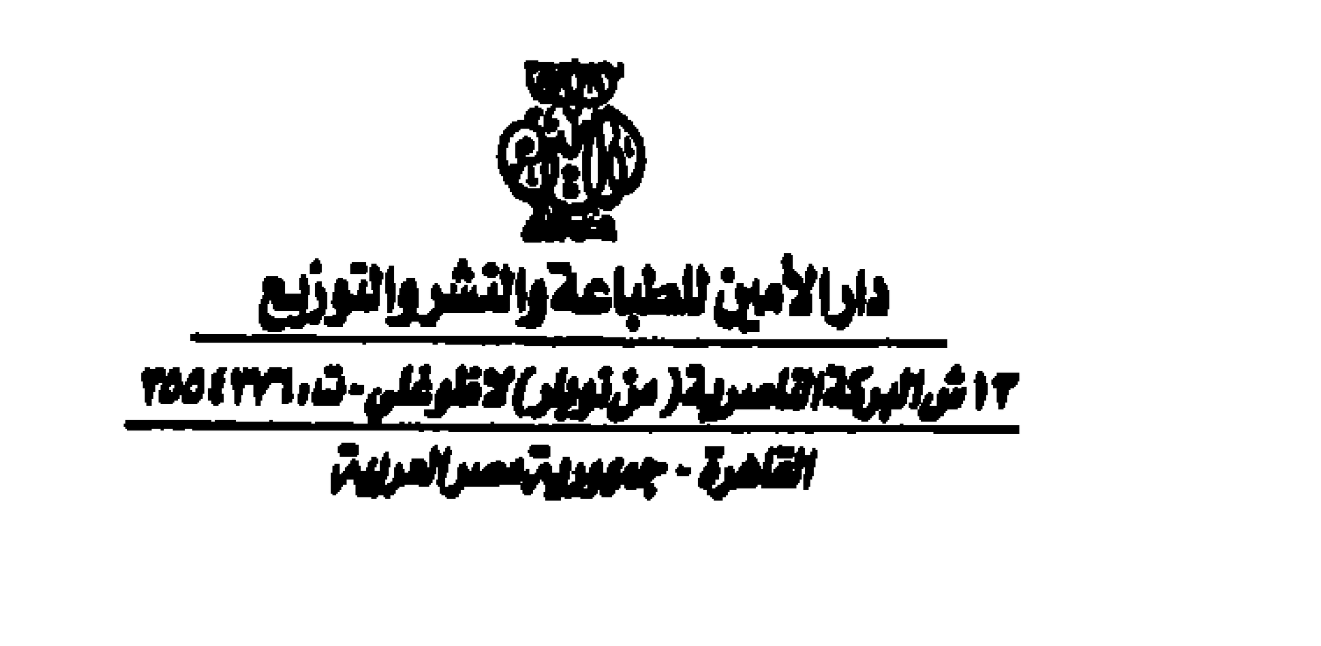
٥٢ – من خشية الله (للمؤلف) .

٥٣ – السعى إلى الآخرة (للمؤلف) .

٥٤ – أسماء الله الحسنى (للمؤلف) .

٥٥ – رمضان كريم (للمؤلف) .

فهـــرس


دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع
١٣ ش البركة الناصرية (من نوبار) لاظوغلي - ت: ٣٥٥٤٢٣٦
القاهرة - جمهورية مصر العربية



الكلمة الطيبة

إلى : كل روح نَيِّرة ..

إلى : كل نفس خَيِّرة . .

إلى : كل يد بيضاء ..

إلى : كل مهجة عذراء ..

إلى : كل لسان عفيف ..

إلى : كل إنسان شريف ..

اقدم لهم كتابى ..

وأهدى لهم لبابى ..

إلى : كل بيت ..

وكل أسرة ..

وكل مكتبة ..

أهدى كتابى .. (الكلمة الطيبة)

مع خالص دعائى وتمنياتى الطيبة

تاج الدين نوفل

Dar Al Ameen للطباعة والنشر والتوزيع دار الأمين

القاهرة: 13 شارع البركة الناصرية (من شارع نوبار) لاظوغلي - الرقم البريدي 11461
ص.ب 1702 العتبة 11511 تليفون 3554376 - فاكس: 3900130
الجيزة: 1 ش سوهاج من ش الزقازيق - الهرم - ص.ب 1315 العتبة 11511 - تليفون 5634699
جمهورية مصر العربية Cairo - Egypt